فقه القيادة العسكرية

من خلال قصة طالوت (دراسة تأصيلية)

د/ عادل الصاوي عبد الغفار أبو زيد

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر، شبين الكوم, جمهورية مصر العربية

البريد الجامعي: adelabuzaid.adv@azhar.edu.eg

ملخص:

بدأ الباحث بملخص أظهر من خلاله مقومات الشخصية القيادية, ومن خلال طرحه بيَّن أن الشخصية العسكرية هي عبارة عن مجموع الاستعدادات الموروثة, والصفات الجسمية الخاصة, والمؤهلات والقدرات العقلية المُساعدة, والتي تبلورت كلها في نمط عسكري متكامل وناضج وفق التأصيل الدعوي, وهي شخصية فريدة مقوماتها مجموعة الاستعدادات الأولية وما ينتج عنها من صفات نفسية, وصفات جسمية, وقدرات عقلية, ومؤهلات ريادية, ناهيك عن قوة الشخصية وتأثيرها بالآخرين, وأهلية القيادة, وضبط النفس, والدراسة العسكرية النموذجية المتكاملة, لذا: فإن الشخصية العسكرية هي في تكامل الصفات المذكورة وتآزرها تُؤدي إلى فقه قيادة عسكرية وسلوكية ناجحة, وإلى توافق جدي ايجابي يكون قدوة للآخرين, ولهذا كان النبي (ﷺ) هو القدوة والمثال في تكامل الشخصية العسكرية بكل صفاتها ومقوماتها, حتى قال بعض الصحابة –رضوان الله عليهم–: كنا إذا حمى الوطيس نحتمي برسول الله (ﷺ) ولعل هذا البحث – الذي أسأل الله له القبول– أن ينجح في إبراز الشخصية القيادية من خلال قصة القائد الْمُلْهَم (طالوت), والتي اقتضت طبيعة العمل فيه تقسيمه إلى ثلاثة مباحث يندرج تحتها تسعة مطالب, تسبقها مقدمة فتواطئة, ثم زيَّلتها بخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات يتبعها ثبت المصادر والمراجع ففهرست الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: فقه, القيادة، قصة، دراسة، تأصيلية.

The jurisprudence of military leadership through the story of Taloot (an original study)

Adel Al-Sawy Abdul Ghaffar Abu Zaid
Department of Islamic Call, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Al-Azhar University, Shebin El-Kom, Arab Republic of Egypt
E-mail: adelabuzaid.adv@azhar.edu.eg

Abstract;

The researcher began with a summary in which he showed the components of the leadership personality, and through his presentation he showed that the military personality is the sum of the inherited preparations, special physical characteristics, and auxiliary mental qualifications and capabilities, all of which crystallized in an integrated and mature military pattern according to the prosecution rationale, and it is a unique personality whose constituents are a group Initial preparations and the resulting psychological qualities, physical qualities, mental abilities, and pioneering qualifications, not to mention the strength of personality and its influence on others, the capacity for leadership, self-control, and the model integrated military study, so: the military personality is in the integration and synergy of the mentioned qualities that lead to jurisprudence Successful military and behavioral leadership, and to a serious, positive consensus that sets an example for others, That is why the Prophet was He is the example and example in the integration of the military character with all its qualities and components, until some of the Companions - may God be pleased with them - said: If the heat of

turmoil we would have protected the Messenger of God Perhaps this research – which I ask God for him to accept – will succeed in highlighting the leadership personality through the story of the inspired leader (Taloot), the nature of the work in which necessitated dividing it into three topics under which there are nine demands, preceded by an introduction, and then I replaced it with a conclusion that includes the most important results The recommendations are followed by proven sources and references, so the topics are indexed.

Keywords: jurisprudence – leadership – story – study – foundational.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه والسائرين على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فلقد سجّل كثيرٌ من أصحاب الأقلام المُرْهفة قصّة القائد الْمُلْهَم (طالوت) كما وردت في الروايات، وقد أردت أن أدلي بدلوي معهم في هذا الموضوع محاولا استدراك ما قد يكون فات بعضهم, محاولاً جمع شتات الموضوع, وعاملاً على إسقاطه على الواقع المعاصر بغية الاستفادة منه للوصول إلى المستفاد من فقه القيادة في ضوء القصة المثيرة، وإبراز الذخائر المكنونة التي تسهم في تحريك الماء الراكد، وتُؤدي دورًا بارزًا في دنيا الناس, فتُصحح المسار لتستلهم الأمة من غفوتها وتنهض بركب الحضارة والتقدم, لكن حسبهم أنهم قدّموا ما لديهم بأمانة علميّة ليأتي جيل يلحظ ويستفيد، ويُلقي الأضواء عليها ليستخرج الدرّ المنثور من بين كلماتها، وما زالت المكتبة الإسلاميّة بحاجة إلى مزيد من الدراسات المنهجية لفقه القيادة في عصورها المختلفة, كزمن سليمان النبي (عليه السلام) وذي القرنين التقي (رضي الله عنه) وغيرهما.

ومن ثمَّ نلحظ الاهتمام القرآني بذكر خبر القائد المُلْهَم (طالوت) حيث إن سياق القصة جاء في قرابة ثلاثمائة وبضعة عشر كلمة قرآنية([1])، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ دلالة واضحة أن الله يريد منا أن نعيها ونتدبرها ونستنبط فقه القيادة منها, والحقيقة أن أمّتنا اليوم أشدّ ما تكون إلى الوعي القيادي، وما السياسة الشرعية إلا فقه قيادة وتربية، وإن من أفضل ما تستنبط به السياسة الشرعية قصص الملوك والقادة التي وردت في القرآن الكريم، والتي منها –بلا شك– قصة القائد الْمُلْهَم (طالوت).

والحقيقة: لم تحظ أيّ أمة من الأمم السابقة في القرآن الكريم (المصدر الأول) بالتتبّع المطوّل مثلما حظيت أمّة بني إسرائيل منذ المهد واللحظات الأولى من حياة سيدنا يعقوب (عليه السلام) والأسباط, ثم الاستعباد أيام الفراعنة, والخروج الكبير على يد سيدنا موسى (عليه السلام) ثم مرحلة التيه, ثم بداية

([1]) إنه من سمات الإعجاز: ذلك التوافق بين عدد كلمات القصة في الآيات الكريمة وبين عدد جيش القائد المُلْهَم (طالوت), ففي الصحيح من حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه): (كنّا أصحاب محمد (ﷺ) نتحدّث أن عِدّة أصحاب بدر على عِدّة أصحاب طالوت الذين= =جاوزوامعه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة) أخرجه الإمام البخاري كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر جـ٥ صـ٧٣ حديث رقم (٣٩٥٧) والحديث طرفاه في: (٣٩٥٨) (٣٩٥٩) المحقق: محمد زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.

الطريق إلى بيت المقدس على يد يوشع (عليه السلام) وعصر الذلّة والانحطاط في عهد القضاة, ثم مرحلة الانتفاضة الكبرى على يد القائد الْمُلْهَم (طالوت) حتى يمضي في حديثه عنهم إلى نهاية الزمان.

والحق الذي لا ريب فيه أن قصص القرآن الكريم كلها عبر ودروس وعظات، وقد تكون الحاجة ماسة في بعض الأوقات إلى دراسة بعض القصص القرآني أكثر من غيرها، ومن واجب الوقت على الدعاة أن يحكموا دراسة القصص القرآني دراسة دعوية متأنية مُحاولين إسقاط دروسها على واقهم الماثل وعصرهم الحاضر، ومن هنا فقط رأيت الحاجة ماسة إلى دراسة قصة القائد المُلْهَم (طالوت) ذلك القائد الذي أنقذ الله به بني إسرائيل –في فترة من الفترات– من السقوط في هوة الضياع والاضمحلال.

والشيء بالشيء يذكر لأن طبائع البشر متقاربة في كل زمان ومكان ما لم تكن متطابقة، فإذا ما هاجت الفتن وماجت الأحداث وكثرت الاضطرابات وكثر اللغط، واستولى جماعة من الرعاع على مقاليد الحُكم أو كادوا، وتحدث الرويبضة في أمر العامة وكادت الفتن أن تُودي بالأمة أو المجتمع والوطن، فليس ثمة مخرج من تلك الفتن سوى قائد بصير مُلْهَم وحاكم خبير مخضرم، أكرمه الله تعالى بمواصفات خاصة ومواهب متعددة وكفاءات متنوعة ليُعيد الأمور إلى نصابها ويرجع بالأمة إلى سالف أمرها حيث كرامتها وعزتها وهيبتها وحرمتها.

ولا أظن أنني قد شردت بعيدا إذا قلت إن مصرنا العزيزة ووطننا الحبيب كاد أن يتعرض لفتن لا آخر لها وفوضى لها نهاية لها إبان فترة الثورات والانقلابات (ثورات الربيع العربي) لولا أن قيض الله تعالى لها من رجالاتها البواسل مَنْ توفرت فيه هذه الشروط وتحققت فيه تلك المواصفات ممن يحملون أرواحهم على أكفهم فداءً لوطنهم وتضحية لشعبهم وبلدهم فكان ما كان من إقرار الأمن والأمان على يد فخامة السيد الرئيس عبدالفتاح السيسي ورفقائه الأمناء، فكان ما كان مما نحمد الله تعالى عليه، ولولا ذلك لكانت بلدنا في مهب الريح كغيرنا من الدول التي تعرضت لِكَم هائل من الفتن والفوضى، نسأل لنا ولسائر البلاد الأمن والأمان.

ولقد فطن إلي ذلك كثير من المفكرين فأشادوا بما قام به الرئيس بل عدوه من الأولياء، جاء الله تعالى به في مرحلة كان الناس فيها في أشد الحاجة إلى مثله، ومن أوائل مَنْ كتب عن هذا الأستاذ محمد خالد ثابت في كتابه النافع اليافع: (رفع أعلام النصر بذكر أولياء مصر)(١), ولا غرو فإن الأيام القليلة الماضية قد كشفت عما توسمه العقلاء في هذا القائد، والظن أن الأيام القادمة سوف تأتي بالمزيد من إقرار الأمن والأمان والنهضة العلمية والعملية والاقتصادية المنشودة بفضل الله تعالى.

(١) يُنظر كتاب: رفع أعلام النصر بذكر أولياء مصر للأستاذ: محمد خالد ثابت ج٢ ص٥٣٨-٨٣٢ , ط دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط الأولى، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

منهج الدراسة:

لقد اعتمدت في هذا البحث على عدة مناهج، دعت الحاجة إليها منها([1]):

أولا: المنهج الاستردادي:

الذي يقوم على توثيق المعلومات البحثية واستردادها من مصادرها الأصيلة بأمانة علمية, وهو ما يعرف أيضا بالمنهج التوثيقي, وهو: "المنهج الذي يقوم على توثيق النصوص قبل اعتمادها مصدرًا للحكم"([2]).

ثانيا: المنهج الاستدلالي:

حيث أقمت الدليل على جميع القضايا التي تخص القضية موضح البحث، وقمت بتدعيم البحث بآيات من القرآن الكريم لها علاقة بالظاهرة موضع الحدث، مع ذكر تفسيرها غالباً, كما قمت بشرح وتحليل الأحاديث التي سيقت للاستدلال على شيء من ذلك, فالمنهج الاستدلالي "منهج يبدأ من قضايا مبدئيّة مسلّم بها إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضّرورة، دون الالتجاء إلى التّجربة. ويتمّ هذا بواسطة القول، أو بواسطة الحساب"([3]).

ثالثا: المنهج التحليلي:

وهو يقوم على دراسة المشكلات العلمية المختلفة تفكيكا "التفسير" أو تركيبا "الاستنباط" أو تقويما "النقد" من أجل الوصول إلى حلول علمية وعمليه لهذه المشكلات"([4]), حيث قمت بالعرض والتحليل للنقاط المهمة موضع الدراسة، وسرت على استخراج ما في النص من إشارات متصلة بموضوع البحث من قريب أو بعيد، بطريقة تحليلية يُمكن من خلالها تحقيق الأهداف اعتماداً على عمل منضبط ومرتب للأجزاء التي يتألف منها النظام كله, بهدف الوصول إلى النتائج والتوصيات.

([1]) تُنظر هذه المناهج كاملة في: مهارات البحث العلمي في الدراسات التربوية والاجتماعية د. حافظ فرج أحمد صـ٤٥ ط عالم الكتب, بدون ت.

([2]) مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام": د. حلمي عبد المنعم صابر, صـ ٢٦, ط. مكتبة الإيمان ط. الثانية ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

([3]) مناهج البحث العلمي في الإسلام": عبد الرّحمن بدوي، صـ ١٨, ١٩, ط. وكالة المطبوعات, الكويت, ط. الثالثة ١٩٧٧م.

([4]) أبجديات البحث في العلوم الشرعية د. فريد الأنصاري صـ٩٦ منشورات الفرقان, الدار البيضاء, ط١ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

رابعاً: المنهج الاستنباطي:

وهو المنهج الذي يتيح التوصل إلى القوانين التي تتوقف على طبيعة القضية, يث ينتقل الباحث من المقدمات إلى النتائج([1]). ويقصد به: «استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة»([2]), أو: "استنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها وفق ضوابط وقواعد محددة ومتعارف عليها"([3]), أو: "تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعا"([4]).

ولقد راعيت في بحثي الأمور التالية:

أولاً: عزوت الآيات القرآنية إلى السور التي وردت فيها، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية، وذكر أقوال بعض أئمة التفسير غالباً والتي تخدم موضوع البحث، كما قمت بتخريج جميع الأحاديث النبوية الواردة بين ثنايا البحث تخريجا علميا, وأما ما ورد في العهد القديم فقد عزوته إلى أصله المترجم باللغة العربية ذاكرا السفر والإصحاح ورقم المقطع.

ثانياً: حرصت على جمع المعلومات من مصادرها ومراجعها الأصيلة مباشرة، ورجعت إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، مع الاستفادة من المراجع الحديثة.

ثالثا: اعتمدت في هذه الدراسة على مراجع ذات صلة وثيقة بالقضية موضع الحدث لزيادة التوضيح والبيان.

رابعاً: استعنت بما جاء عن أهل الكتاب في العهد القديم واقفاً منها موقف الناقد مستخدماً في نقدها العلوم النقلية والعقلية، وكلام العلماء القدماء والمحدَثين في ذلك.

خامسا: التزمت الأمانة العلمية، فنسبت كل قول إلى قائله، وإن كان بتصرف أشرت إلى ذلك، مع كتابة اسم الكتاب ثم المؤلِّف ثم المحقق إن وجد ورقم الجزء إن وجد والصفحة وتاريخ ومكان الطبع إن وجد، وهذا عند ذكر المرجع لأول مرة، واستغنيت باسم الكتاب والمؤلف ورقم الصفحة بعد ذلك حينما يتكرر الرجوع إلى نفس المرجع مع الإشارة إلى أنه مرجع سابق بـ(م. س).

([1]) مناهج البحث العلمي د. عبد اللطيف محمد العبد صـ٥٧ ط مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط١ ١٣٩٨هـ-١٩٧٩م.

([2]) التعريفات": علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني, صـ٢٢, ط. دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط١ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

([3]) مناهج البحث العلمي د. عبداللطيف العبد صـ١١ (م. س).

([4]) المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم د. عوض الله حجازي، صـ١٦١ ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

سادسًا: ترجمت لبعض الأعلام، وذلك بالرجوع إلى كتب الطبقات والتراجم والتواريخ، كما قمت ببيان الكلمات الغريبة من كتب شروح السنة النبوية ومعاجم وقواميس اللغة.

سابعًا: اعتنيت بقواعد اللغة العربية والإملاء, وعلامات الترقيم, ومنها علامات التنصيص بحسب المنهج الأكاديمي المتبع.

ثامنًا: قمت بترتيب المصادر والمراجع في نهاية البحث ترتيبا أبجديا, بادئاً باسم المُؤلَّف ثم المؤلِّف، مع الإشارة إلى رقم الطبعة وتاريخها ومكان الطبع إن وجد.

وقد اقتضت طبيعة العمل في هذا البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث يندرج تحتها تسعة مطالب, تسبقها مقدمة فتواطئة, ثم زيَّلتها بخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات يتبعها ثبت المصادر والمراجع ففهرست الموضوعات, وعلى هذا جاء البحث مرتَّباً على النحو التالي:

عنوان البحث: فقه القيادة العسكرية من خلال قصة طالوت (دراسة تأصيلية)

المبحث الأول: بين يدي القصة

- **المطلب الأول:** جمال الدِّلالة والسياق في القصة.
- **المطلب الثاني:** التناسب السياقي في القصة.

المبحث الثاني: العطاءات الإلهية في شخصية القائد المُلْهَم

- **المطلب الأول:** الاصطفاء الإلهي.
- **المطلب الثاني:** البسطة في الجسم.
- **المطلب الثالث:** البسطة في العلم.

المبحث الثالث: المؤهلات القيادية في الشخصية الريادية

- **المطلب الأول:** الكفاءة.
- **المطلب الثاني:** احترام ضوابط الاختيار.
- **المطلب الثالث:** الدراسة العسكرية وفن القتال.
- **المطلب الرابع:** ضبط النفس.

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات

ثبت المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

تحرير أهم مصطلحات عنوان البحث

أولا: مصطلح (فقه القيادة)

إن المصطلح السابق يتكوَّن من كلمتين:

أولاهما: فقه,

ثانيهما: القيادة

أما **الفقه في اللغة** فهو: "العلم بالشيء والفهم له, والفطنة, وغلب على علم الدين لشرفه"([1]), ويقال: فَقِه الأمر, فَقَها وفِقْها, أي: أحسن إدراكه"([2]).

وأما **في الاصطلاح** فهو: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"([3]).

و القيادة في اللغة:

مصدر القائد، وكذلك القوْد، والقوْد نقيض السَّوْق: أي القَوْد من أمام والسَّوْق من خلف، والقائد: واحد القواد والقادة، ويقال: القائدة من الإبل: أي التي تقدم الإبل وتألفها، والقائد من الجبل أي: أنفه. والأقواد من الناس: أي الذي إذا أقبل على الشئ بوجهه لم يكد يصرف وجهه عنه، وقاد الجيش قيادة: رَأَسَه ودَبَّر أمره، والانقياد: الخضوع، تقول: قُدْته فانقاد واستقاد لي([4]).

وأما في الاصطلاح:

فعلى الرغم من أن موضوع القيادة من أهم مبادئ العلوم الإنسانية، إلا أنه لم يستقر رأي على وضع تعريف جامع لمفهوم القيادة ولكن مع تعدد التعاريف فإن هناك تقاربًا ملحوظًا بين هذه التعاريف، ومن أهم **هذه التعاريف:**

هي: "الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير على توجيه الآخرين إلى هدف معين بطريقة تحصل بها على ثقتهم واحترامهم وطاعتهم وتعاونهم المخلص"([5]).

([1]) القاموس المحيط للفيروز آبادي صـ١٢٥ ط مؤسسة الرسالة, ط٨ بيروت ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

([2]) المعجم الوسيط, نخبة من ذوي الاختصاص بمجمع اللغة العربية صـ ٦٩٨ ط مكتبة الشروق ط٤ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

([3]) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للعلامة زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي, المتوفى (٩٢٦هـ) صـ ٦٧ ت د. مازن المبارك ط دار الفكر المعاصر بيروت ط١ ١٤١١هـ.

([4]) لسان العرب لابن منظور ٣/٣٧٠، مادة (ق و د) (م . س).

([5]) فن القيادة في الاسلام لأحمد بصبوص صـ٢٥ ط١ الأردن، ط مكتبة المنار ١٩٨٨م.

أو هي: "ذلك السلوك الذي يقوم به شاغل مركز الخلافة، أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة، فهي عملية سلوكية، وتفاعل اجتماعي فيه نشاط موجه ومؤثر، علاوة على كونه مركز أو قوة، والقيادة قبل ذلك مسؤولية"([1]).

أو هي: "الجهد أو العمل الذي يمارسه شخص للتأثير في الناس، وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون كلهم في تحقيقه"([2]).

وعليه: فإن **فقه القيادة** يعني: امتلاك القدرة بالتأثير على سلوك مجموعة من الأفراد, وقد يكونون (شعبا– دولة– أمة) وتنسيق جهودهم وتوجيههم لبلوغ الغايات المنشودة بفهم وعلم وحسن إدراك.

ثانيا: مصطلح (القصَّة)

لغة: الخَبَر, وهو القصص, يُقال: قصَّ علي خبره يقصه قصّا, وقصصا, والمعنى: أورده, والقصص: الخبر المقصوص, وتقصَّص كلامه: حفظه, وتقصّص الخبر: تتبعه, وقصّ آثارهم يقصها قصا, وتقصصها: تتبعها بالليل, وقيل هو: تتبع الأثر في أي وقت كان, قال تعالى: ﴿... فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾[3], أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه, وكذلك اقتص أثره وتقصص, ويقصان الأثر, أي: يتبعانه[4].

أما اصطلاحا: "فلفظ القصص أو القصّ أنسب لفظ مطلق على تلك الأنباء التي عرضها القرآن الكريم, إذ إن ذلك أشبه بقص أثر الشيء وتتبعه, ثم الوقوف عليه بذاته لا على صورته أو ما يشبه صورته"[5], والقصة في القرآن الكريم هي: "واسطة بيانية تبليغية للوحي الإلهي, بغاية تجذير العقيدة, وتوطيد نظام حياة متكامل للإنسانية, وتغيير ما بالنفوس من جهالة وشرك

([1]) القيادة: الأسباب الذاتية للتنمية القيادية لجاسم بن محمد مهلهل الياسمين صـ١٧ ط١ ط دار الوفاء بالقاهرة سنة ١٩٩٨م.

([2]) الأنماط القيادية وعلاقتها بالأداء الوظيفي د. طلال عبد الملك الشريف صـ٤٣ رسالة ماجستير بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالمملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م نقلاً عن: Ordway Tead, 1963 19 p. ،

[3] سورة الكهف من الآية ٦٤.

[4] لسان العرب لابن منظور ج٧ صـ٧٥ (م. س),

[5] القصص القرآني في منطوقه ومفهومه د. عبد الكريم الخطيب صـ٢٥ ط دار الفكر العربي, بيروت لبنان ١٩٦٥م.

وعبودية لغير الله تعالى, نزعت منزعًا واقعياً, فصدرت في الأغلب من مرجعيات تاريخية ارتبطت بسير الأنبياء والرسل في أزمنة غابرة, وبأخبارهم وصراعاتهم من أجل رسالات الله تعالى"[١].

وعليه: يمكن تعريف القصة أنها: سرد تاريخي موثق عن أخبار السابقين بغاية أخذ العبرة والعظة لتعضيد الثبات على الموقف, وحسن توجيه المخاطب بها, قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...﴿١١١﴾﴾[٢], وقال تعالى مخاطبا سيدنا رسول الله (ﷺ): ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ... ﴿١٢٠﴾﴾[٣].

ثالثا: مصطلح (دراسة تأصيلية)

إن المصطلح السابق يتكوَّن من كلمتين:

أولاهما: دراسة.

ثانيهما: تأصيلية.

أما الدراسة في اللغة: "فتدور مادة دَرَسَ في اللغة حول الخفاء, يقال: الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء "فالدرس: الطريق الخفي, يقال درس المنزل: عفا, ومن الباب الدريس: الثوب الخلق, ومنه درست المرأة: حاضت.., ودرست الحِنْطة وغيرها في سنبلها: إذا دستها, فهذا محمول على أنها جعلت تحت الأقدام, كالطريق الذي يدرس ويمشى فيه"[٤], ويقال: الدراسة: الرياضة, ودرست السورة أي: حفظتها, ويقال: سمي سيدنا إدريس (عليه السلام) لكثرة دراسته كتاب الله – تعالى"[٥], والمِدراس: الموضع يقرأ فيه القرآن"[٦], وعليه: فإن دراسة الموضوع أو القرآن أو غيرهما تكون بمعنى: المداومة والتكرار, مما يترتب على ذلك من الحفظ والاستذكار.

وأما الدراسة في الاصطلاح: فإن دَرَسَ فعل وردت مشتقاته اللفظية بجميع صيغها في معاجم اللغة العربية، يُقال: درَسَ يدرس دراسة، ودروسا، والدِّراسة: بحثٌ وتحقيقٌ، وهي لفظة يُراد بها

---

[١] الخطاب القرآني, سليمان عشراني, ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر صـ٦٧ ١٩٩٨م.

[٢] سورة يوسف من الآية ١١١.

[٣] سورة هود من الآية ١٢٠.

[٤] معجم مقاييس اللغة لابن فارس كتاب الدال, باب الدال والراء جـ٢ صـ٢٦٧ ط دار الفكر ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

[٥] لسان العرب لابن منظور باب السين, فصل الدال جـ٦ صـ٧٩ ط دار صادر بيروت, ط٣ ١٤١٤هـ.

[٦] القاموس المحيط للفيروز آبادي, باب السين فصل الدال صـ٥٤٤ ط ٨ ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

العديد من المعاني اللغوية، يُقال: درس, أي: أقبل على كتاب أو علم ونحوهما يحفظه، وأيضا: ركَّز ذهنه ليتعلمه ويفهمه، ويدرس مسألة أو ظاهرة أي: تناولها بالبحث والدرس، ويُقال درسَ الموضوع أي: بحثَه لاتخاذ قرار، وأمعن النظر فيه، وسعى لفهم شيء بالتفحص والاستقصاء، بمعنى: تبصَّر فيه، ويُقال: دراسة حالة أي: دراسة تفصيلية لفرد أو مجموعة كنموذج لظاهرة اجتماعية أو نفسية أو غيرهما، والدراسات الاجتماعية تعني: مجموعة علوم تتضمن علم الاجتماع والتاريخ وغيرهما وتدريسها كمقرر دراسي، وهناك دراسات إنسانية متعلقة بالإنسان وحضارته، وأخرى ميدانية تتطلب أرض الواقع، وثالثة تجريبية تقوم على البحث والتجربة، ناهيك عن دراسة الجدوى وغيرها، ويُقال درَّس أي: مارس مهنة التدريس، ولقَّن أنواع المعارف، علم القراءة والكتابة، ودرسَ العلم على فلان أي: تلقاه على يديه وتتلمذ له، ويُقال درسٌ منهجيٌّ أي: درس خاضع لخطة لها قواعد محدودة، قائمة أبحاثه على خطة منهجية[1].

والتأصيل في اللغة: تأصيل الشيء: جَعْلُه ذا أصل ثابت, راسخ ذو جذور, قال ابن فارس: "الألف والصاد واللام أصل يدل على أساس الشيء", وقال المناوي: "أصَّلْتُه تَأْصلاً: جعلت له أصلاً ثابتاً يبني عليه غيره", يُقال أصَّل حضارته: بيَّن أصالتها, ويُقال أصَّل الموضوع: جعل له أصلا ثابتا يُبنى عليه, وهو أساس يُقام عليه, أول الشيء ومادته التي يتكون منها أصل الموضوع, وأصَلَ الشيء: استقصى بحثه حتى عرف أصله, وأصُلَ الرجل: كان له أصل, يُقال: أصُلَ يأصُل أصالةً, فهو أصيل, وتأصيل النسب, أي: تَبْيان أصله وأصالته, يقال: ابن أصول, وأَصُلَ: ثبَتَ وقوي, ولا أصل له ولا فصل: ليس له نسب أصيل, وطبق الأصل: وفق الأصل, مماثل له, وعلم تأصيل الكلمات: (العلوم اللغوية) البحث في تاريخ الصيغ اللغوية من أول نشأتها, مع تحديد التطورات التي مرت بها تأصيلات سامية, وهذا بخلاف الاستئصال وهو: الاقتلاع من الأصول, يُقال استأصل الله شأفتهم: أهلكهم وأزالهم من أصلهم كما تُستأصل الشأفة, واستأصل العلة: أزالها

---

[1] يُنظر في هذا: معجم مقاييس اللغة للعلامة أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي المتوفي ٣٩٥هـ، كتاب الدال باب الدال والراء ج٢ صـ٢٦٧ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، لسان العرب لابن منظور مادة (د ر س)، ومختار الصحاح مادة (د ر س)، المعجم الوجيز، مادة (درس)، ومعجم الرائد لجبران مسعود مادة (درس) ط دار العلم للملايين، ومعجم الغني لعبد الغني أبو العزم مادة (درس).

من الأساس, واستأصل الطبيب الورم: بتره وأزاله بالجراحة, واستأصل الشجرة: اجتثها من جذورها[1].

أما التأصيل في الاصطلاح فهو: "جعل الشيء ذا أصل ثابت له قواعد وأصول, ومناقشة هذه القواعد والأصول من أجل البقاء على الأصل الثابت, ولذلك نجد العديد من أنواع التأصيل, فهناك مثلا: التأصيل الدعوي, التأصيل الفقهي, التأصيل اللغوي, التأصيل القانوني, التأصيل العلمي..إلخ, ومن هذا المنطلق فإن التأصيل الدعوي – ما يهمنا هنا– وهو ما يُطلق ويُراد به: "بيان الأصل من كتاب الله أو من سنة رسول الله (ﷺ) في مسائل الدعوة وقضاياها ومناهجها, واتباع طريقة الخلفاء الراشدين، والسير على منهج السلف الصالح (رضي الله عنهم)"[2].

وعليه: فإن **الدراسة التأصيلية** تعني: تناول الموضوعات أو القضايا انطلاقا من أصلها الثابت بإرجاع القول والفعل إلى أصل وأساس يقوم ويبنى عليه, مع ما يلائمهما من أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليهما, وبذلك تستمد هذه الموضوعات والقضايا الدعوية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة الإسلامية ولا تتعارض في تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع الأحكام الشرعية ومناهجها, وهذا يعني تناول الجانب التأصيلي والتقعيدي للموضوع, وتأصيل مسائله وقواعده ومناقشتها ووضع الضوابط لمعالجة نواحي التقصير.

---

(1) يُنظر في هذا: معجم مقاييس اللغة للعلامة بن فارس (أصل), لسان العرب مادة (أ ص ل)، ومختار الصحاح مادة (أصل)، المعجم الوجيز، مادة (أ ص ل)، ومعجم الرائد لجبران مسعود مادة (أصل)، ومعجم الغني لعبد الغني أبو العزم مادة (أصل)(م.س).

(2) انظر مقدمة: "عبد الكريم زيدان ومنهجه في التأصيل الدعوي من خلال كتابه أصول الدعوة" رسالة ماجستير بالجمهورية الجزائرية, جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي, معهد العلوم الإسلامية, قسم أصول الدين, تخصص: دعوة وإعلام, للباحثة: برتيمة حكيمة, إشراف الأستاذ: مصطفى الشريف بلقاسمي, تاريخ المناقشة ١٤ محرم ١٤٤٠هـ– ٢٤ أيلول/سبتمبر ٢٠١٨م.

تواطئة

إن قصة القائد الْمُلْهَم (طالوت) سيقت ليستفيد منها القادة بالأخص, وكلما أرجعنا البصر إليها كرة أو كرتين أو مرة تلو الأخرى وجدناها ملأى بفقه القيادة وفنها, ناهيكم عن المفاهيم القيادية والجوانب التربوية التي تشكِّل القيادة الحقيقة وفق المعايير التي تضبط هذا لتتحقق من خلالها وسائل القيادة العسكرية الناجحة, وما يترتب علي ذلك من اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

والحقيقة: أن عصر القائد (طالوت) يمثل الانطلاقة الحقيقية والنهضة الجماعيّة والرؤى القياديّة لهذه الأمّة الإسرائيلية، يقول (غوستاف لوبون): "بشاول[1] بدأ بنو إسرائيل يؤلّفون أمة، فاستحقّوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ الحقيقي، الذي كان لهم في العالم"[2].

ولم تكن قيادة القائد طالوت لأمّة بني إسرائيل في تلك الفترة بالأمر العادي –إن جاز التعبير– فشعب بني إسرائيل لم ينضبط لموسى النبي ولا لأخيه هارون الوزير (عليهما السلام) وهما من هما، ولا للأنبياء من بعدهما, فهم قوم عُرِفوا بالعصيان, وأما الأعداء من حولهم فقد سلبوا البلاد، وأسروا الأولاد، وطردوا العباد، فيا لله كم جَهِد القائد طالوت في ملكه وهو يعالج الأمرّين؛ من داخل قومه وعشيرته، ومن شرّ عدوّه وسطوته.

لقد كان القائد (طالوت) أنموذجاً قرآنياً فذّاً للقادة الصالحين العظام، الذين حملوا العقيدة الصافية، والتزموا المسار الصحيح، وحدّدوا الهدف الكبير، ولم يلتفتوا إلى عراقيل الطريق، وانطلقوا في عالم الانتصارات في سبيل ربّ العالمين.. ولم يزل الصراع بين الحق والباطل قائما وموجودا ما وجدت الدنيا، لكنه قد يأخذ أشكالاً متعدّدة، وميادين مختلفة، وقد يبلغ الذروة فيأخذ شكل المعارك العسكرية – كما في قصّتنا– فلنتدبر...

(١) شاول هو أول ملك لبني إسرائيل وأحد شخصيات العهد القديم, وقد ورد ذكره في القرآن الكريم باسم طالوت.. وهو شخصية هذا البحث.

(٢) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى لغوستاف لوبون صـ٥٤ ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري ط١ ط مكتبة النافذة بالقاهرة ٢٠٠٩م.

المبحث الأول

(بين يدي القصة)

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول: جمال الدِّلالة والسياق فى القصة.**
- **المطلب الثاني: التناسب السياقي في القصة.**

إنه من المؤكد أن القصة القرآنية إنما ترد في سياق السور أو السورة الواحدة لتؤدي وظيفة فيها، وترسم غرضا معيَّنا, وغالبا ما يرد من القصة ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها، وهذا مظهر واضح من مظاهر وحدة السورة وتناسب معانيها(١), ولقد سعى هذا المبحث إلى الكشف عن القيمة الفنية والجمالية لمصطلح كثر تداوله مع غيره من المصطلحات على صفحات كتب المفسرين، والأدباء، والبلاغيين، والنقاد، والمهتمين بالدراسات التفسيرية واللغوية والأدبية بفروعها المختلفة, وهو مصطلح الجمال(٢) وأقصد: (جمال القصة) بين الدِّلالة(٣)،==

==والسياق(٤), وكذا التناسب السياقي بين أجزاء القصة الواحدة وبين القصة والسورة, مما يُظهر مدى قوة الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن الكريم بين كلماته وآياته وسوره.

---

(١) التناسب البياني في القرآن لأحمد أبو زيد, صـ٦٧ ط مطبوعات جامعة محمد الخامس بالرباط ١٩٩٢م.

(٢) تدور الدلالة المعجمية لمادة (جَمُلَ) حول عدد من المعاني الثرية، غير أن الدلالة التي نعنيها في هذه الدراسة: (الجَمَال) الذي هو مصدر الفعل (جَمُلَ)، ومنه قوله (ﷻ):﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾، أي: بهاءٌ، وحُسْنٌ. والجَمَال يكون في الفعل والخَلْق، وقد جَمُلَ الرجلُ بالضمِّ جمالاً فهو جميلٌ وجُمَال بالتخفيف، وامرأةٌ جَمْلاء وجميلة، أي: حسناء مليحة، ومنه قول الشاعر: فهي جَمْلاءُ كبدرٍ طالعٍ ... بذَّت الخَلْقَ جميعاً بالجَمَالِ، ولا أريد هنا الوقوف عند الدلالة اللغوية للجمال، بل إلى ما تجاوزته تلك الدلالة من فوائد بلاغية في بيان الوحي الإلهي، وذلك من خلال ما حوته كتب التفسير من وقفات بديعة كشف عنها أو أضاف إليها مصطلح (الجمال) جمالاً في سياقات وروده في آي الذكر الحكيم. معجم لسان العرب مادة (جَمُلَ) (م. س).

(٣) الدَّال واللَّام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء. فالأول قولهم: دَلَلْتُ فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة على الشيء، وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة. والأصل الآخر قولهم: تَدَلْدَل الشيء: إذا اضطرب ... ومن الباب دلالُ المرأة: وهو جرأتها في تغنُّج وشِكْل؛ كأنها مخالفة وليس بها خلاف، وذلك لا يكون= =إلا بتمايل واضطراب، ومن هذه الكلمة: فلانٌ يدلُّ على أقرانه في الحرب كالباري يدلُّ على صيده.. أما حدُّها في الاصطلاح فهو: "أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلمِ به العلمُ بشيءٍ آخر، والأول الدَّال، والثاني المدلول" مقاييس اللغة لابن فارس جـ٢ صـ٢٥٩- ٢٦٠ (م. س), وكشاف اصطلاحات الفنون, محمد علي التهانوي الحنفي, راجعه: أحمد حسن بسج جـ٢ صـ٢٨٤ ط دار الكتب العلمية, بيروت ١٩٧١م.

(٤) أما (السياق) فيعني في الدلالة المعجمية: "حدوُ الشيء، يقال: سقتُ إلى امرأتي صداقها، وأسقته, والسَّوْق مشتقة من هذا، لما يُساق إليها من كل شيء"، وقد عرَّفه ابن منظور بقوله: "السَّوْق : معروف, يقال: ساق الإبل وغيرها يسوقها سَوْقاً وسياقاً، وهو سائقٌ، وسوَّاقٌ... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقًا إذا تتابعت",

ولما كان التأثير مطلباً رئيساً في كل كلام أدبي أولاه البلاغيون عنايتهم، حتى جعلوا المعجز من الكلام أشده تأثيراً في النفوس، بُغْية الوصول إلى الجمال والكمال، فقد وقف الإمام الخطابي (رحمه الله) مع هذه الفكرة وقفةً رائعةً، حين قال: "قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب القلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول (ﷺ) من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آياتٍ من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه"[1], وسنظهر هذا الإعجاز بشيء جلي في ضوء قصة القائد المُلْهَم (طالوت) من خلال المطلبين الآتيين:

والسياق في الاصطلاح عند البلاغيين والنقَّاد له دلالات مختلفة: فيكون بمعنى الغرض، ويكون بمعنى الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص، ويكون بمعنى السياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجهات استدلالية, وهذه الدلالة الأخيرة هي التي نعنيها في دراستنا هذه، وذلك «أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها؛ ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها من فوائد. يُنظر في هذا: مقاييس اللغة لابن منظور جـ٣ صـ١١٧ (م. س), لسان العرب لابن منظور مادة (سَوَقَ) ودلالة السياق د ردة الله الطلحي, معهد إحياء التراث الإسلامي صـ٥١ ط٢ ط مكة المكرمة ١٤٣٤هـ, ودلائل الإعجاز, أبو بكر عبد القادر الجرجاني صـ٥٣٩ تحقيق: محمود محمد شاكر ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٤م.

(1) بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي صـ٧٠ ط٢ ط دار المعارف بالقاهرة ١٣٨٧م.

المطلب الأول

جمال الدِّلالة والسياق في القصة

لقد بُنيت قصة طالوت بناء مُحكماً من لبنات الحقيقة المطلقة، التي لا يطوف بحماها طائف من خيال، ولا يطرقها طارق منه – كما هو حال جميع قصص القرآن الكريم– وإن عرض القرآن لقصة القائد الْمُلْهَم (طالوت) إنما هو بعث لها على حقيقتها، وإعادة لوجودها، في نظم معجز ينقل إلينا الماضي أو يأخذنا إليه، فنطالع هناك وجوه الحياة، في زمانها ومكانها، حتى الكائنات أبناء ذلك الزمن, ومع هذا فقد اشتمل القرآن على مالم يشتمل عليه غيره من القصص الأخرى، من الإثارة والتشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصلح عليه القصص الأدبي بحال أبداً(١)!

إن قصة طالوت القائد لا تقف بجذب الانتباه عند حدّ تصوير الأشخاص والعواطف والانفعالات؛ بل هي كذلك تصور الأحداث المتتالية والموقف في كل حدث، فتقدّمها قصّة ذات مشاهد حية، تتراءى فيها النبضات والخفقات والحركات والسكنات، ويُسمع مايدور فيها من حوار، ومايتردد فيها من حديث ورأي، ومايقع من صواب أو خطأ، حتى يخيّل إليك أنك أحد أبطالها ورجالاتها(٢), وهو قمة التشويق والتصوير والإبداع, وهناك أمور أخرى جانبية تتعلق بالتصوير والبراعة في إدارة الحوار الذي ينطق به أشخاص القصة, ناهيك عن سهولة الأسلوب والدقة والعمق، وغيرها، وهي أمور من شأنها: القدرة على تحريك الحدث وتصعيده في مراحله المختلفة, والإفصاح عن المعاني بدقة دون إخلال بنقص أو زيادة، أو تتعلق بالبناء الفني للقّصة"(٣).

ومن خلال التتبع لأمة بني إسرائيل في القرآن الكريم تستوقفنا آيات كانت فيصلاً بين عهدين؛ عهد الذلة والهوان، وعهد العزّة والتمكين، في رسم بياني بليغ ارتفعت فيه مؤشرات النجاح والانتصار، من الحضيض إلى سقف الفخار، ودبّت في أمة بني إسرائيل الحياة، بعد أن كانت في حكم الموات؛ تلك هي بعض آيات سورة البقرة، والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب صـ٤٠-٤٩ ط٢ بيروت ط دارالمعرفة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

(٢) النظم القرآني في آيات الجهاد لناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الخنين صـ٥٤٢ ط مكتبة التوبة ط١ الرياض ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٣) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم لكاظم الظواهري صـ٧٣ ط١ ١٩٩١م – ١٤١٢هـ.

ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ [1].

إنها آيات تتحدث عن بداية عصر جديد، عصر القائد الْمُلْهَم (طالوت)، ذلكم العصر الذي ارتقبه بنو إسرائيل منذ أن حدّثهم عنه نبي الله موسى (عليه السلام) ببشارة الله به لبني إسرائيل قبل مجيئه بعشرات السنين، ووصف الله له ملْك طالوت قائلاً: (مَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلِكًا كَجَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ... وَعِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ نُسْخَةً مِنْ هذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ الْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ،فَتَكُونُ مَعَهُ، وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، لِكَيْ يَتَعَلَّمَ أَنْ يَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَهُ وَيَحْفَظَ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ وَهذِهِ الْفَرَائِضَ لِيَعْمَلَ بِهَا، لِئَلاَّ يَرْتَفِعَ قَلْبُهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، وَلِئَلاَّ يَحِيدَ عَنِ الْوَصِيَّةِ يَمِينًا أَوْ شِمَالاً. لِكَيْ يُطِيلَ الأَيَّامَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ هُوَ وَبَنُوهُ فِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ)[2].

(1) سورة البقرة الآيات ٢٥٢ – ٢٤٢.

(2) الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد) سفر التثنية، إصحاح ١٧، مقطع ٢٠:١٤ ط دار الكتاب المقدس, مصر, بدون ت.

إنه عصر يمثل بداية الانطلاقة الحقيقية والنهضة الجماعيّة والرؤى القياديّة لهذه الأمّة الإسرائيلية، يقول (غوستاف لوبون): "بشاول بدأ بنو إسرائيل يؤلّفون أمة، فاستحقّوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ الحقيقي، الذي كان لهم في العالم"(١).

ويقول الإمام النَّيسابوري (رحمه الله): "والغرض من إيراد هذه القصة عُقيب آية القتال: ترغيب المكلَّفين على الجهاد, وأن لا يكونوا كمَن أُمروا بالقتال فخالفوا وظلموا"(٢), فالسياق ليس شيئًا خارجاً تُعرض عليه النصوص أو الجُمل الملتبسة لتحظى بالتفسير الدلالي، أو التوجيه الإعرابي فحسب، بل إنه يمكن القول بأن السياق هو النص، والسياق يُعرَّف بأنه: "البيئة المحيطة بالعنصر اللغوي المراد تحليله لغوياً وبلاغيًا"(٣), فالعلاقة وطيدة بين أجزاء السياق في النظم القرآني للآيات الكريمة, فمن شأن هذا إيجاد حمال بين الدِّلالة والسياق.

يقول صاحب دلائل الإعجاز (رحمه الله): "فلا نظم في الكلم ولا ترتيب؛ حتى يعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسببٍ من تلك"(٤), ولذلك كثيرا ما نرى الإمام ابن عاشور (رحمه الله) يستطرد في بيان جمال هذا النظم، من خلال التناغم والتناسق بين أجزاء السياق في الآية الواحدة أو الآيات، حين تحدث عن ردِّ العجز على الصدر في السياق، قبل وبعد الآية الكريمة(٥)".

ولذلك يُعرَّف علم المناسبة بأنه: "علمٌ تعرف منه علل الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلُحمة النسب. فعلم مناسبات القرآن علمٌ تُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرُّ البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال"(٦).

فإذا كانت البلاغة تبحث عن عللٍ عملية في حال المتكلم أو المخاطب أو سياق الكلام، وهي

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى لغوستاف لوبون صـ٥٤ (م. س).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن النيسابوري م٢ صـ٥١٩ تحقيق د. حمزة النشرتي وآخرون, ط بدون.

(٣) وإن كانت هناك أنواع أخرى من السياق لها تأثير مباشر على النصوص، كالسياق الشرعي، والنحوي، والنفسي والاجتماعي وغيرها.

(٤) دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني صـ٥٥ تحقيق: محمود شاكر ط الخانجي بالقاهرة ١٩٨٤م.

(٥) انظر مثلا: التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور جـ٦ صـ٧٧- ٧٨ ط دار سحنون, تونس.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعي جـ١ صـ٥-٦ ط دار الكتب العلمية ط٢ بيروت ١٤١٥هـ.

العوامل الثلاثة التي جُمعت تحت اسم "مقتضى الجمال"(١)، فإن ذلك يبرز في مراعاة السياق أو النظم أو التركيب الذي قال عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني (رحمه الله): "إن التركيب يختلف باختلاف المعنى المراد أو الموقف الكلامي أو غرض المتكلم"(٢).

إن النظم في السياق القرآني يُعدُّ تنامياً طبيعياً نتيجة الربط المعجز بين الآيات القرآنية، بل تجاوز المعنى المعجمي لمصطلح الجمال إلى إيجاد علاقة وطيدة تربط بين أجزاء الآيات جميعاً بكامل ألفاظها، وهي صورةٌ جميلةٌ من صور المناسبة في القرآن الكريم، تتجلى في: "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"(٣).

لقد أورد الدكتور محمد أبو موسى (حفظه الله) نقلاً عن أحد العلماء، ما يُعدُّ منهجاً ينبض، ونبراسًا يضيء لكل من يقف أمام كلام الله (سبحانه وتعالى) مفسِّراً أو محلِّلاً أو مستنبطاً أو مستدلاً، حيث إنه يقول: "لو أُعطي العبد بكل حرفٍ من القرآن ألف فهمٍ لم تبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله وكلامه الله صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلٌّ بمقدار ما يفتح الله عليه"(٤)..

وقد صدق فيما قال, ودليله قوله تعالى: **(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)**(٥), وقال (عز وجل): **(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)**(٦), فهاتان الآيتان تؤكدان أنه لا نهاية لكلام الله تعالى, ومن ثَمَّ فلا نهاية لمعاني كلامه (عز وجل) وأسراره.

---

(١) اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي) د. شكري محمد عياد صـ١٢١ ط مكتبة الأنجلو ط١ القاهرة ١٩٨٠م.

(٢) دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني صـ١٠٦ (م. س).

(٣) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي جـ٢ صـ١٣١ تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية ط١ بيروت ١٩٥٧م.

(٤) من أسرار التعبير القرآني (دراسة تحليلية لسورة الأحزاب) د. محمد محمد أبو موسى صـ٣٤ ط مكتبة وهبة ط٢ القاهرة ١٩٩٦م.

(٥) سورة الكهف الآية ١٠٩.

(٦) سورة لقمان من الآية ٢٧.

والخلاصة: إن جمال الدلالة في قصة طالوت هي صورة من صور الإعجاز القرآني التام الذي قال عنه الإمام الخطابي (ﷺ): "اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهب الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة"(١).

فورود الألفاظ القرآنية بهذه الدقة، ومناسبتها المعاني المرادة منها، مع الربط بين أجزائها, من أبرز خصائص جمال التعبير القرآني؛ ولذلك عدّه علماء الإعجاز وجهاً مهماً من أوجه الإعجاز في ألفاظه بين الدِّلالة والسياق, وهو رأيٌ سديدٌ في الإعجاز، وهو لا يتعارض مع القول بأن إعجاز القرآن في نظمه، بل هو هو، فالقرآن الكريم بما في نظمه من إثارةٍ للنفوس والمشاعر احتل تلك المكانة من البلاغة التي فاق بها بلاغة البلغاء، والبحث في الإعجاز لا يعدو كونه بحثاً عن مأتى تلك الإثارة، وذلك التأثير الجمالي المحض.

(١) بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي صـ٢٩. (م. س).

المطلب الثاني

التناسب السياقي في القصة

إن القصة القرآنية ليست رواية تاريخية إنما هي ذات هدف، والقرآن الكريم لم يتبع في حديثه عن بني إسرائيل طريقة التفصيل الدقيق وإنما يقدم الكثير من الدروس والعبر، وجاءت قصة القائد طالوت لمعالجة قضية **فقه القيادة** وتعزيز عوامل النصر التي توصل إلى العزة والمكانة ولو كانوا قلة, وإننا حين نبحث بطريقة التناسب السياقي في قصتنا هذه سنجد أن التناسب يرصد كل الجوانب ما عظم منها وما صغر ويقيم الدليل على ما يطرحه القرآن من دروس وعبر .

فلقد بدأت الآيات الكريمة بالاستفهام: (**أَلَمْ تَرَ**) وهو هنا في غير معناه واستعمل في التعجب من عدم علم المخاطب بمفعول فعل الرؤية، ويحتمل أن يكون تقريريا أو إنكاريا([1])، وهؤلاء الملأ قالوا بعد موت النبي موسى (عليه السلام) لنبي لهم: (**ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا**) ونكَّره هنا لأن الإشارة إلى محل العبرة، وكذلك لم يقل نبيهم لأن هذا النبي لم يكن معهودا عند السامعين حتى يعرف لهم بالإضافة([2]).

وقد وردت كلمتي الجهاد والقتال مترادفان في آيات كثيرة غير أن القرآن في آيات عديدة يفيد أن الجهاد أوسع مدى وأنه يعني بذل الجهد مطلقا في حرب وفي غير حرب، أما إذا جاء القرآن بعبارة القتال فهو يقصد المعنى المخصص للحرب والقتال, ولقد ناسب السياق هنا أن يعبر بـ(**هَلۡ**) بدلا من همزة الاستفهام ذلك أن هل تُنبئ عن تحقيق الاستفهام وتأكيده([3])، وكذلك التعبير بالفعل (**كُتِبَ**) بالبناء للمفعول ولم يُبن للفاعل المعلوم تنزيها لاسم الله (الفاعل) عن مخالفة يتوقع تقصيرهم فيها([4]), وكما ناسب السياق تقديم (**إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ**) على (**أَلَّا تُقَٰتِلُواْ**) من باب العناية بتأديب السائلين في هذا الأمر المهم وهو فرض القتال وإن النكوص بعد فرضه كبيرة من كبائر الدين.

وإنما لم يقل(**أن تعجزوا**) بدلا عن(**أَلَّا تُقَٰتِلُواْ**) ذلك لأن نبيهم (عليه السلام) علم أن بعضهم سيترك الجهاد لا عن ضعف وعجز وإنما سيتركونه عن قوة وهم قادرون عليه لذلك نفى الفعل تقاتلوا([5]), وهم لم

([1]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور جـ٢ صـ ٤٧٧ ط دار سحنون تونس ١٩٩٧م.

([2]) المرجع السابق نفسه جـ٢ صـ ٤٨٥.

([3]) نظم الدرر للإمام البقاعي جـ٣ صـ ٤١٠ ط مجلس دائرة المعارف العثمانية ط الأولى ط الهند حيدر آباد ١٣٩١هـ.

([4]) روح المعاني للإمام الآلوسي جـ٢ صـ ١٦٥ ط دار التراث القاهرة.

([5]) نظم الدرر للإمام البقاعي جـ٣ صـ ٤١١ (م. س).

يطلبوا فرضية القتال بل طلبوا المَلك الذي يقاتلون معه وإنما ذكر القتال دون ما التمسوه مع أنه أظهر مبالغة في بيان تخلفهم عنه فإنهم إذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بإيجاب الله فلأن لم يقاتلوا عند عدم فرضيته أولى، وليبين لهم أن سبب تخلفهم عن القتال ليس هو عدم وجود الملك ولكن العلة في نفوسهم([1]).

وكما ناسب السياق دخول الواو على (وَمَا لَنَآ) لتدل على ربط الكلام بما قبله تأكيدا لرغبتهم في تعيين ملك يدبر لهم أمور القتال لأنهم ينكرون كل خاطر يخطر في نفوسهم من التثبيط عن القتال, وقد بني الفعل (أُخۡرِجۡنَا) للمجهول لأن موجب القتال نفس الإخراج بغض النظر عن نسبته لأحد معين([2])، وإنما ذكروا الأبناء لأنهم الذين وقع عليهم السبي، أو لأنهم بمكان فوق سائر القرابة لمزيد تقوية أسباب القتال([3]).

ثم بدأت الآيات في تفصيل ما جرى بينهم وبين نبيهم من الأقوال والأفعال، وقد أخبرهم نبيهم أن الله –تعالى– بعث لهم طالوت مَلِكا فقالوا على سبيل التعجب ما حكاه القرآن على لسانهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ وظنهم: هو رجل فقير، فخاطبهم نبيهم بالأمر القطعي أن الله يفعل ما يشاء ويتصرف في ملكه كيفما أراد, وناسب السياق هنا اختيار اسمين من أسماء الله دون غيرهما (وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ) ليناسب بسطة الجسم وكثرة العلم، فهو سبحانه أسبغ عليه هذه الفضائل ومرجعها كلها إليه, ومع ذلك سألوه عن الدلالة على صدق ما قال لهم فأخبرهم: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ وعبر بالرب هنا ليشعرهم بأنه الذي طال إحسانه إليهم وتربيته باللطف لهم .

ولقد دل قوله تعالى: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ) على رضاهم وتسليمهم الملك له وخروجهم معه لأنه لم يكن ممن يقدر على إكراههم على ذلك، فيظن به أنه حملهم على ذلك كرها([4])، وناسب السياق استخدام لفظة (فَصَلَ) دون خرج لأن فيه معنى الإنابة وذلك أنهم قد ابتعدوا عن الديار وفارقوا الأهل وأصبحوا على مسافة بعيدة، وأخبرهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾.

([1]) روح المعاني للإمام الآلوسي جـ٢ صـ ١٦٥ (م. س).

([2]) نظم الدرر للإمام البقاعي جـ٣ صـ ٤١٢ (م. س).

([3]) فتح القدير للإمام الشوكاني جـ١ صـ٢٩١ ط دار الخير ط الأولى دمشق ١٤١٢هـ.

([4]) جامع البيان للإمام الطبري جـ١ صـ٦٣١، ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٠هـ.

وإنما ناسب السياق التعبير بـ: (**وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ**) دون: (من لم يشربه) لأن الإنسان إذا عطش جدا يجد الماء في فمه ألذ من الطعام والعسل فكأنه يقول حتى لو وصل بكم الحال في العطش إلى ذلك فإنه يجب الاحتراز منه، وأن من أدخل الماء إلى لسانه فقط وتمضمض به ثم أخرجه يصدق عليه أنه طعمه وذاقه ولا يقال شربه، فلو قال القائد طالوت: (ومن لم يشربه) لظن البعض جواز الطعم خصوصا وأن الممنوع من شرب الماء إذا تمضمض به وجد نوع خفة وراحة(١).

وكان السبب في تأخير الاستثناء في قوله تعالى: (**إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ**) أن جملة ومن لم يطعمه إنما هي تتمة للجملة الأولى في النهي عن الشرب، وليعلم السامعون أن المغترف غرفة بيده هو كمن لم يشرب شيئا، وأنه ليس دون من لم يشرب في الولاء والقرب وليس هو قسماً ثالثاً(٢).

ولما برزوا لجالوت وجنوده) قال الذين لديهم علم ويقين **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة)**، وناسب السياق لفظة (**غَلَبَت** ،) دون **(أطاقت)** حسبما وقع في كلام أصحابهم الذين **(قالوا لا طاقة)** لنا مبالغة في تشجيعهم وتسلية لقلوبهم(٣)، وقد دعوا الله أن يصب عليهم الصبر حتى يكون مستعليا عليهم، ويكون الصبر كالصندوق وهم في داخله وقد امتلئوا به وأحاط بهم من كل جانب، وتثبيت الأقدام كناية عن تقوية القلوب وتشجيعها حتى لا تفر وتنهزم(٤).

وجاء بوصف (**ٱلْكَٰفِرِينَ**) بدلا من الضمير العائد إلى جالوت وجنوده للإشعار بعلية النصر عليهم وخذلان أعدائهم بصفة الكفر التي هم عليها(٥), فاستجاب لهم ربهم فأفرغ عليهم صبره وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين، ﴿**وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ**﴾ وإنما قدم قوله: **(ٱلْمُلْكَ)** على قوله: (**ٱلْحِكْمَةَ**) هنا لأن الله تعالى بيَّن كيف ترقى داود (عليه السلام) إلى المراتب العالية، فكان ما كان أكثر تأخرا من الذكر كان أعلى حالا وأعظم رتبة.

ولما بيَّن سبحانه أن الفساد الواقع بجالوت وجنوده زال بما كان من طالوت وجنوده،بيَّن عقيب ذلك جملة تشتمل على أن الله يدفع الناس بعضهم ببعض لكي لا تفسد الأرض، ولما كانت الآية

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي جـ٦ صـ١٩٦ ط دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ.
(٢) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور جـ ٢ صـ٤٩٧ (م. س)
(٣) روح المعاني للإمام الآلوسي جـ٢ صـ١٧١ (م. س).
(٤) جامع البيان للإمام الطبري جـ٢ صـ ٦٣٨ (م. س) زاد المسير لابن الجوزي جـ١ صـ ٢٤٧ (م. س).
(٥) البحر المحيط للإمام أبي حيان جـ٢ صـ٢٧٧ تحقيق: أحمد عادل, على معوض, ط دار الكتب العلمية, بيروت ط الأولى ١٤١٣هـ.

مسوقة مساق الامتنان كان المناسب ختامها بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لأن هذه المنة لا تختص بأحد فهو إنعام يعم الناس كلهم.

والخلاصة: إننا نلحظ مما سبق الدقة التامة في دقة الألفاظ وحسن ورودها ووضعها في مواضعها لإصابة المعنى، وقد يدركها القارئ وقد لا يدركها إلا بالتعمق في اللغة، فعبارة القرآن هي التي كست معاني تلك القصة حُلة الإعجاز، وأوردتها إلى الأسماع في تلك الحلاوة, والتناغم السياقي, فسبحان مَن هذا كلامه.

المبحث الثاني

(العطاءات الإلهية في شخصية القائد المُلْهَم)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: الاصطفاء الإلهي**
- **المطلب الثاني: البسطة في الجسم**
- **المطلب الثالث: البسطة في العلم**

إنه في ظل فترات عصيبة عاشها بنو إسرائيل في حالة مُزْرية من الذل والانكسار, حيث سلَّط الله –تعالى– عليهم بسبب فسادهم وإفسادهم جالوت فقسا عليهم ليذوقوا وبال أمرهم, فقد بعثه الله عليهم فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج فأصابتهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله, فسألوا الله –كعادتهم بعد كل بلية– أن يبعث لهم مَلِكاً يقاتلون في سبيل الله تحت قيادته, فبعث الله لهم طالوت (القائد المُلْهَم) مَلِكًا، وقاتلوا جالوت، فنصر الله بني إسرائيل، وقتل داود جالوت, ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم بعدما ظفروا بنصر مُحقق"(١).

وهذا ما اختاره الإمام الأكبر المرحوم الدكتور محمد سيد طنطاوي (رحمه الله) ذاكرا أن هذا ما يراه المحقّقون من أهل التفسير، وقد شفع اختياره هذا بعدة أمور, **أهمها:**

أولاً: أن هذه القصة (قصة طالوت) ذكرت في القرآن الكريم كمثال لحالة الذلة والهوان والهزيمة التي وصل إليها بنو إسرائيل، فقولهم – كما حكى القرآن الكريم عنهم–: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾(٢), يدل دلالة قوية على أنهم قبل قتالهم لجالوت، كانوا قد هُزموا على أيادي أعدائهم هزائم منكرة، واضطروا معها إلى الخروج من ديارهم ومفارقة أبنائهم.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾(٣), صريح في أن الله نصر بني إسرائيل– بعد أن تابوا– على أعدائهم الذي قهروهم, وهذا المعنى ينطبق على انتصار طالوت وجنوده على جالوت وجنوده. وكان هذا النصر نعمة كبرى بعد أن أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿...وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾(٤), أكثر مايكون انطباقاً على عهد حكم داود وابنه سليمان (عليهما السلام) لبني إسرائيل، ففي هذه الحقبة من تاريخ البشرية ازدهرت مملكتهم، وعزّ سلطانهم، وأمدهم الله خلالها بالأموال الوفيرة، وبالبنين الكثيرة، وجعلهم أكثر من أعدائهم قوة وعدداً(٥).

---

(١) جامع البيان للإمام الطبري جـ١٧ صـ٣٦٨ ط١ ط مؤسسة الرسالة, دمشق, بتصرف يسير, والدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي جـ٤ صـ١٦٣ ط دار هجر ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م, القاهرة, بتصرف يسير.

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٤٦.

(٣) سورة الإسراء من الآية ٦.

(٤) سورة الإسراء من الآية المصدر السابق.

(٥) بنو إسرائيل في القرآن والسنة د. محمد سيد طنطاوي صـ٦٦٨–٦٦٧ ط٢ ط دار الشروق ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م, القاهرة.

والحقيقة: لقد نجح القائد المُلْهَم (طالوت) في تنظيم الجيش وإعداده وإعادة هيكلته على نُظم حديثة, ونجح في تغيير مسار الهزيمة إلى نصر ورفعة, وهو شان القادة العظام, وذلك بما وهبه الله –تعالى– من عطاءات وقُدْرات عقلية وجسمية ساعدته على ذلك, ننجزها في الآتي:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

ولعلنا –من خلال النص القرآني السابق– نستطيع أن نستخلص العطاءات الإلهية أو أسباب التمكين للقائد الْمُلْهَم (طالوت) باعتباره ظاهرة لا تتكرر كثيرا في دنيا الناس وذلك من خلال المطالب الآتية:

(1) سورة البقرة، الآيات ٢٤٦ – ٢٥٢.

المطلب الأول

الاصطفاء الإلهي

إن الله – تعالى– اصطفى طالوت واجتباه على بني إسرائيل, والاصطفاء يعني: الاختيار، "واختيار الله هو الحجة القاطعة"(١), وحجة الله بالغة, وقد ساق الإمام الطبري (رحمه الله) عن ابن عباس (3) قال: "ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ": اختاره, وبمثل ذلك قال الضحّاك وابن زيد(٢), ولابدّ من الإشارة إلى هذه اللفتة القرآنية الجميلة، فالله –تعالى– لم يقل: "اصطفاه لكم" وإنما قال: "ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ" وفيه زيادة معنى أن الله فضّله واختاره عليكم بما أودع فيه من الاستعداد الفطري للمُلك(٣), وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء, وكذلك كاد الله له.

إن بني إسرائيل لم يفقهوا, وإن شئت فقل: إنهم قوم لم يُهدوا إلى معنى اصطفاء الله –تعالى– عليهم لطالوت، فقد أعماهم حقدهم وغلهم الدفين عن فهم مراد الله في خلقه, وسر الله في كونه, فاستكثروا هذا على رجل منهم فقير الحال يعدونه من وجهة نظرهم غير كفء(٤), وإن شئت فقل: هو من الأرذلين بادي الرأئ – في زعمهم– فأراد نبيهم (عليه السلام) أن يبيّن لهم حقيقة أمر غاب عن أذهانهم، وربّما ذهلوا عنه في مجادلتهم، فنبههم (عليه السلام) وكأنه يقول: (لا تستنكروا يا معشر الملأ من بني إسرائيل أن يبعث الله طالوت ملكاً عليكم، وإن لم يكن من أهل بيت المملكة، فإن المُلك ليس بميراث عن الآباء والأسلاف، ولكنه بيد الله يعطيه من يشاء من خلقه، فلا تتخيّروا على الله)(٥), إنه الحكم المطلق لله تعالى ولا معقب لحكمه، فهو سبحانه صاحب الفعل والمشيئة,

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام االشوكاني جـ١ صـ٢٩١ طـ١ ط دار الخير، دمشق.

(٢) جامع البيان للإمام االطبري, تحقيق: محمود, أحمد شاكر جـ٥ صـ٣١٢ طـ١ ط مؤسسة الرسالة, دمشق.

(٣) القرآن الحكيم (تفسير المنار) للإمام محمد رشيد رضا جـ٢ صـ٤٧٧ طـ٢ ط مطبعة المنار بالقاهرة.

(٤) ولسان حالهم يذكرنا بموقف مشركي العرب من سيدنا رسول (ﷺ) كما حدثنا القرآن الكريم: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١ ﴾ (الزخرف من الآية ٣١, ألا فلا نامت أعين الجهلاء – جهلاء الفكر والبصيرة–.

(٥) جامع البيان للإمام الطبري جـ٥ صـ٣١٤ (م. س) بتصرف.

ما شاء فعل ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ولا يقضي بشئ إلا بمقتضى حكمته ورأفته بخلقه([1])؛ فإذا كان الله هو المالك فله أن يُمَكِّن مَنْ شاء من التصرف في ملكه بإذنه([2]).

وكأن الله يقول لبني إسرائيل: أنتم طعنتم في (طالوت) بكونه فقيراً، والله (ﷻ) هو الواسع، فإذا كان المُلْك لا يتمشى إلا بالمال، فالله –تعالى– يفتح عليه باب الرزق والسعة في المال([3]), وهو سبحانه أيضاً "عالم بمقادير ما يحتاج إليه في تدبير المُلْك، وعالم بحال ذلك الملك في الحاضر والمستقبل، فيختار لعلمه بجميع العواقب ما هو مصلحته في قيامه بأمر المُلْك"([4]), وبذلك تنقطع الأفهام السقيمة لأصحاب الفكر غير السوي, وتذل للواحد الأحد الذي أحاط بكل شيء علماً، فما اختاره –جلَّ شأنه– هو المختار لا مُحال، وليس لأحد معه خِيَرَة في الأرض ولا في السماء، يفعل ما يشاء ويختار, بل يفعل مالا تدركه العقول ولا تُحيطه، ولا تحتمل وصفه الألباب والفهوم, ولا تعيه القلوب.

لقد كان الدرس قاسيا حين خاب ظنهم, وأتت القضاء بما لا يشتهون, وأتاهم القدر بما لا يريدون, فكم تمنوا واحدا من أصحاب الجاه والسلطان سليل بيت المملكة, ولو أُجيبوا لما طلبوا لجروا ذيل الهزيمة والانكسار الذين لازمهما –كعادتهم– لعقود طويلة, لكنها إرادة الله ومشيئته الباقية أبد الدهر ما قام الزمان في دنيا الناس, ليبقى الكون دائما قائما لله بحجتة البالغة, فهو وحده عالم بمصلحة عباده يفعل ما يشاء ويختار.

([1]) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ١ صـ٦٦٦ ط مكتبة أسامة بالقاهرة, بتصرف.

([2]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي جـ٢ صـ١٦٧ ط دار إحياء التراث العربي, بيروت لبنان, بتصرف.

([3]) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام الفخر الرازي جـ٦ صـ١٨٩ ط دار الفكر ط١ بيروت، الخازن، علاء الدين علي بن محمد الشيحي، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن جـ١ صـ١٨٠ تحقيق: محمد علي شاهين، ط١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ بتصرف.

([4]) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي جـ٦ صـ١٨٩ (م. س)، مرجع سابق، ١٨٩/٦، وتفسير لباب التأويل للإمام جـ١ صـ١٨٠ (م. س).

المطلب الثاني

البسطة في العلم

عن القائد المُلهَم يقول ابن عباس (3): (كان طالوت يومئذٍ أعلم رجل في بني إسرائيل)([1]), وهذه البسطة([2]) في العلم التي حظى بها طالوت ليست خاصة بعلم من العلوم، بل هو علم مطلق([3])؛ وذلكم أن القرآن الكريم عندما أشار إلى أنه أوتي بسطة في العلم أشعرنا ذلك بأنه لم يختص بعلم واحد دون سائر العلوم، بل ينطبق ذلك على العلم الديني والدنيوي، إذ إن مهمة الملك كما هو معلوم "حراسة الدين وسياسة الدنيا"([4])، فحراسة الدين لا يمكن أن تأتي إلا بوجود حد أدنى من الورع والتقوى وكذلك نصيب وافر من العلم الشرعي، وسياسة الدنيا لا تأتي إلا بوجود الخبرة الميدانية والثقافة العسكرية والحربية، وهو أهم جوانب المؤهلات القيادية في أي شخصية ريادية.

ولأهمية العلم للملك والقيادة قدّمه الله في الآية على الجسم, وكذا قالوا: "الفضائل النفسانية أعلى وأشرف من الفضائل الجسمانية"([5]), وهذا من كمال علم الله الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فهو سبحانه "عليم بمن هو أهل لمُلكه الذي يؤتيه، وفضله الذي يعطيه، فيعطيه ذلك لعلمه به، وبأنه لما أعطاه أعطاه: إما للإصلاح به، وإما لأن ينتفع هو به"([6]), وقد كان فعلا, فقد تحولت أزمات عدة عاشها بنو إسرائيل قبل قيادة طالوت إلى فترة تُعد هي الأفضل والأجمل في حياة بني إسرائيل من بعد سيدنا موسى (عليه السلام) وكثيرا ما يُشار إليها بالبنان, لما تحقق فيها من نصر وعزة نتيجة فقه القيادة الرشيد والحكيم.

([1]) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي جـ٣ صـ٢٤٦ تحقيق: سمير البخاري ط دار عالم الكتب،الرياض، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي جـ١ صـ٢٩٨ طـ٤ ط دار طيبة, السعودية.

([2]) بسطة: لفظة مفردة جمعها: بَسَطات أو بَسْطَات, وهي تعني: الزيادة والوفرة, ومعناها: توسع وتبحر في العلم وكمال في الجسم, وهي الفضيلة والكمال, ويُراد بها القوة وعظم الأجسام. يُنظر في هذا: المعجم الغني (بَسْطة) (م.س) ولسان العرب (ب س ط) (م.س), ومعجم اللغة العربية (بسطة) (م.س).

([3]) البداية والنهاية لابن كثير جـ٢ صـ٧ طـ١ ط دار الريان, القاهرة, ١٤٠٨هـ.

([4]) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي جـ١ صـ٣ طـ١ ط دار ابن قتيبة, الكويت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

([5]) روح المعاني للإمام الألوسي جـ١ صـ١٦٧ (م. س)، ونظم الدرر للإمام البقاعي جـ٣ صـ٤١٨ (م.س)، والتفسير الكبير للإمام الفخر الرازي جـ٦ صـ١٨٩ (م.س).

([6]) جامع البيان للإمام الطبري جـ٥ صـ٣١٥ (م.س).

لقد كان من شأن العلم توليد الحكمة عند القائد المُلهَم, وهي مطلب هام في شخصية كل قائد, فإن الحكمة([1]) التي يهبها الله لمن يشاء من عباده هي رأس العلوم والمعارف وخلاصتها، وكذا قالوا: "ونسبة العلوم إلى الحكمة من وجه:كنسبة الأعضاء إلى البدن في كونها أبعاضاً لها، ومن وجه: كنسبة المرؤوسين إلى الرئيس في كونها مسؤولية عليها، ومن وجه: كنسبة الأولاد إلى الأم في كونها مولّدة لها، وهي في معارف الشرع: اسم للعلوم العقلية المدركة بالعقل.

وكما يقول الراغب الأصفاني (ﷺ): "ولايبلغ الحكمة إلا أحد رجلين: **إما مهذب** في فهمه، موفق في فعله، ساعده معلّم ناصح... **وإما إلهي يصطفيه الله** فيفتح عليه أبواب الحكمة بفيض إلهي، ويلقي إليه مقاليد جوده، فيبلغه ذروة السعادة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"([2]), وقد حصل للقائد المُلْهَم (طالوت) كلا الأمرين في بلوغ الحكمة، فقد اصطفاه ربّه بذلك.

فالحكمة من المعاني الجامعة التي يندرج تحتها أمور كثيرة, **أهمها:** سداد الرأي، والدقة والعمق في التفاصيل, ومراعاة الحال والمقام, والحدث والحديث, واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب بحزم وحسم, "فالقائد الحكيم هو صاحب الرأي المسدّد الذي يتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب، كما أن المفاجآت الطارئة يجب أن لا تخرج القائد عن طبيعته، فلا ينغلق عنده التفكير من هول المفاجأة، بل يواجه ذلك الموقف بالتصرف الحكيم السريع؛ لأن التصرف العشوائي قد يؤدي به إلى به الهزيمة"([3]), فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون العشوائية والغوغائية صفتين ملازمتين للقائد ثم يُكتب له النصر والظفر, لأن هذا يُخالف سنة الله في كونه, وسنة الإعداد والأخذ بالأسباب, حتى لا يكون هذا دعوة إلى اللامبالاة وعدم التدقيق وأخذ الحيطة, وكما ورد في الأثر "إن الله لا يُحب العبد السَّبهللي..

([1]) السابق نفسه, الصفحة نفسها.

([2]) الذريعة إلى مكارم الشريعة للإمام الراغب الأصفهاني ص ١٤٢ ط١ ط دار السلام بالقاهرة, ٢٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

([3]) إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه لعبدالله بن فريح العقلا صـ٦٠٢ ط ١ط مكتبة الرشد، الرياض١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

المطلب الثالث

البسطة في الجسم

إن المعنى اللغوي للبسطة سواء في العلم أو الجسم يوحي بالسعة والانتشار، فالبسطة هي: "الوفرة والقوة من الشئ"([1]), وحينما تستخدم هذه اللفظة مع الجسم فإنها تغرس فينا معاني كثيرة، فالبسطة في الجسم قد تعني القوة البدنية أو سلامة الحواس والأعضاء، أو الطول، أو الهيبة والجمال، أو غير ذلك من المعاني المتعدّدة من جملة بسطة الجسم.

ويجدر بنا هنا أن نميز بين لفظة (الجسم) ولفظة (الجسد) فهما كلمتان متقاربتان في الحروف والمعنى، ولكن غالباً ما يطلق الجسم إذا كان فيه حياة وروح وحركة, وأما الجسد: فهو التمثال الجامد أو البدن بعد وفاته وخروج الروح منه، ومن ذلك وصف العجل الذي صنعه السامري ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِمْ مِّنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾([2]), ولا شك أن كل مواصفات الجسد مما تهمّ الملوك خصوصاً في أوقات الحروب، فالحرب بحاجة إلى قوة في البدن، وقدرة على أنواع القتال من رمي وطعن وضرب وركوب وكرّ وفرّ ونحو ذلك([3]).

يقول الإمام ابن عاشور (رحمه الله): "وبالقوة يستطيع القائد الثبات في مواقع القتال فيكون بثباته ثبات نفوس الجيش"([4])، ولذلك يقول بعض أئمة التفسير في تفضيل الله للقائد طالوت ببسطة الجسم: "إن المقصود بذلك: القوّة, سواء كان طالوت طويلاً أو ضخم الجسم إلا أن المؤدى هو امتلاكه للقوة التي تؤهله للجهاد والقتال في سبيل الله, وكما قالوا: "قوة المرء بأصغريه لا بكبر جسمه وطول برديه"([5]), وقد رجّح هذا الأمر الإمام الفخر الرازي (رحمه الله) حيث إنه قال بعد ذكر الأقوال: "وقيل: المراد القوة, وهذا القول عندي أصح؛ لأن المنتفع به في دفع الأعداء هو القوة والشدة, لا الطول والجمال"([6]).

([1]) التحرير والتنوير للإمام الطاهر ابن عاشور التونسي جـ٢ صـ٤٩٢ (م.س).

([2]) سورة الأعراف الآية ١٤٨.

([3]) حسن السلوك الحافظ دولة الملوك لابن الموصلي صـ٩٣ تحقيق: فؤاد عبد المنعم ط١ ط دار الوطن ١٤١٦هـ.

([4]) التحرير والتنوير للإمام ابن عاشور جـ٢ صـ٤٩١. (م. س).

([5]) روح المعاني للإمام الألوسي جـ٢ صـ١٦٧ (م. س).

([6]) التفسير الكبير للإمام الرازي جـ٦ صـ١٨٩ (م. س).

ولقد بلغ القائد الْمُلْهَم (طالوت) غاية القوة في جميع جوانبها, والتي تختزل عدداً من الصفات المتنوّعة, وهي بمجموعها تعطي شخصية القائد طالوت قوة فوق قوته, ومن **أهمها:** الشجاعة والإقدام, والفصاحة والبيان, الذكاء والكِياسة, الاستقلالية والثبات, وقد ذهب الإمام القرطبي (رحمه الله) إلى أن معنى البسطة في الجسم: الشجاعة(١), وذلك لما للشجاعة من ركيزة أساسية ورئيسة في الشخصية القيادية الريادية وهي بمفهوم فقه القيادة تُمثل الرصانة والرزانة والثبات, ولقد كان الصحابة –رضوان الله عليهم– يلوذون بسيدنا النبي (ﷺ) إذا حمى الوطيس, وقد ظهر ذلك يوم حنين(٢) لما رشقت هوازن خيل المسلمين بالنبال فولوا مدبرين في بادئ الأمر منهزمين, لكن النبي (ﷺ) بقي على بغلته, ولم يبق معه إلا بضعة من أصحابة, وهو مقبل غير مدبر, حتى تراجع إليه أصحابه وتم النصر, وهكذا كان (ﷺ) فارسا مغوارا شجاعا لا يُشق له غبار, إذا تفرّق مَن حوله وقف يُنادي بأعلى صوته: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.

أضف إلى ذلك صفة الصبر وما تتضمنه من تحمل للمسؤلية الملقاة على كاهل القائد, والتي تُعد أمانة في عنقه أمام الله والوطن, مما يستوجب الصبر عليها وعدم التهرب منها, وقد رأينا كيف أن القائد طالوت لم يتهرب من مسؤولية القيادة بل أخذها بحقّها, وصبر عليها حتى ظفر, ناهيك عن صفة الحزم وما يترتب عليها من القوة في اتخاذ القرار وتنفيذه مع تحمل تبعاته, أو التأني والتروي وعدم العجلة, وهو ما يعطي للقائد قوة فوق قوته, يقول الإمام ابن القيّم (رحمه الله): "لفظة الحَزْم تدل على القوة والاجتماع, ومنه حزمة الحطب, فحازم الرأي هو الذي اجتمعت له شؤون رأيه, وعرف منها خير الخيرين وشرّ الشرّين, فأحجم في موضع الإحجام رأياً وعقلاً لاجُبناً ولا ضعفاً"(٣).

إن هذا من شأنه أن يعكس على شخصية القائد الهيبة والحلم مع الاستقلالية والثقة في النفس, ليصبح وقتئذ الشخصية الآسرة, ويقوّي ذلكَ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ...﴿٦٠﴾﴾(٤), ونحن إذ نتعبد إلى الله بهذا, تظهر معنى القوة الحقيقية التي تُرهب وتُزلزل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي جـ٣ صت٢٦٤ (م. س), والبحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي جـ٢ صـ٢٦٦ ط١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٢) هي غزوة وقعت في الثالث عشر من شهر شوال في السنة الثامنة للهجرة, وكانت بين المسلمين وقبيلتي هوازن وثقيف, في واد يُسمَّى حُنين بين مديمة مكة والطائف, وانتهت بنصر المسلمين, لمطالعتها كاملة انظر السيرة النبوية لابن هشام م٢ ج٣ صـ٣٣٩ وما بعدها, ط دار الحديث بالقاهرة. ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

(٣) الروح للإمام ابن القيم صـ٢٣٧ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٤() سورة الأنفال من الآية ٦٠.

الأعداء, وقالَ النَّبي (ﷺ): "..ارْمُوا وَارْكبُوا وأن ترموا أحب إلىَّ مِن أن تركبوا ومَن ترك الرَّمي بعدما علمه رغبةً منه فإنَّها نعمة تركها"(١), وفى رواية: "من تعلَّم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها"(٢)، وفي رواية: "مَن علمَ الرَّمي ثمَّ تركَه فليسَ منَّا أو فقد عَصى"(٣).

كما أن مُراد القوة في حق القائد يتعدى إلى القوَّة في الحُكم بين النَّاس, وهذا مرجعه العلم بالعدل حتى وإن تطلب هذا الإنصاف من نفسه, وإلى القدرة على تطبيق وتنفيذ الأحكام، بأمانة وخشية لله، وألا يشترى بآيات الله ثمناً قليلاً، وترك خشية النَّاس وهذه الخصال الثلاث التي اتَّخذها الله تعالى عهدًا على كل قائد في قوله تعالى: ﴿...فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾(٤), ولقد حقق القائد المُلْهَم (طالوت) هذا فعلا فاستحق أن يكون شخصية آسرة.

وتبقى الحقيقة: ثمة مبادئ تُمثل فقه القيادة العسكرية في شخصية القائد الناجح من أهمها: غرس العقيدة الصحيحة (الثقة في نصر الله), صدق النية, الإعداد الجيد, التقوى والصلاح, الصبر والأناة, الشجاعة عند اللقاء, الثبات إن حمي الوطيس, عدم التأثر بالإشاعات (الحرب النفسية), السرية التامة (الأخذ بالحيطة), الوحدة ونبذ الفرقة (التعاون), التحرر من حب الدنيا والحرص على الآخرة, مراقبة الله في الأعداء, ناهيك عن طاعة القائد وعدم المخالفة, وهذه تُمثل أهم المبادئ الهامة في تكوين نمط (شكل) أيِّ شخصية قيادية ناجحة ذات طابع خاص وسلوك فريد.

---

(١) الترغيب والترهيب للإمام الحافظ المنذري جـ٢ صـ ٢٣٥ ط دار الحديث القاهرة.

(٢) السابق نفسه جـ٢ صـ٢٣٩.

(٣) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه رقم ١٦٩ (١٩١٩) (٣/ ١٥٢٢-١٥٢٣), (م.س).

(٤) سورة المائدة من ٤٤.

المبحث الثالث

(المؤهلات القيادية في الشخصية الريادية)

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الكفاءة●

المطلب الثاني: احترام ضوابط الاختيار●

المطلب الثالث: الدراسة العسكرية وفن القتال●

● المطلب الرابع: ضبط النفس

المطلب الأول

الكفاءة

وهي في **اللغة** تُطلق ويُراد بها: المساوي أو النظير أو المماثل, **يُقال: تكافأ الشيئان أي: تماثلا, والتكافؤ: الاستواء**(١)**؛ وفي حديث النبي (ﷺ): "المسلمون تتكافأ دماؤهم"**(٢)**, والجمع أكْفاء, ومن الخطأ أكفَّاء لأنه جمع كفيف, فمادتها اللغوية تدور حول المساواة والمناظرة والمماثلة.**

وأما **اصطلاحا** فهي: "موهبة وقدرة على إنجاز العمل عند مستوى محدد، وقد تكون هذه الموهبة عقلية أوبدنية"(٣).

---

(١) ورد تعريفها في معجم لسان العرب: أنها المساوي أو النظير, كما عُرِّفت في المعجم الوسيط: كلمة مشتقة من كلمة (كَفَأَ) فمثلا نقول: شخص لدية كفاءة علمية, أي: يمتلك قدرة بالإضافة إلى مؤهلاته العلمية, ونقول مثلا: يتمتع بكفاءة عالية, أي: يمتلك القدرة العالية على العمل وبجدارة واستحقاق, وعليه: فالكفاءة لغويا تعني: الحالة التي يكون فيها الشيء مساويا لشيء آخر. لمزيد من الاستفادة يُنظر: لسان العرب مادة (ك ف أ)(م. س) والمعجم الوسيط مادة (ك ف أ) (م .س) ومعجم مقاييس اللغة (م. س).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود كتاب الجهاد باب في السرية رقم (٢٧٥١) وهو: حسن صحيح.

(٣) يعد مصطلح الكفاءة من المصطلحات التي يصعب الوقوف على مفهوم محدد لها؛ وذلك لأنه مصطلح شائع في كثير من مجالات الحياة، بل لا يكاد يخلو منه مجال من مجالات الحياة، ومن ثم فحقيقته ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجال المستعمل فيه، ولكل أهل مجال مفهوم خاص لمصطلح الكفاءة، فالكفاءة في الأمور الشرعية كالزواج مثلا غير الكفاءة في مجال الاقتصاد، أو مجال السياسة، وهكذا، وسوف أستعرض بعضا من هذه التعريفات لمصطلح الكفاءة، محاولًا الوصول إلى قاسم مشترك بينها,.

أما عن الكفاءة عند الفقهاء فقد اختلفت تعاريفها بحسب اعتبارات معينة لها عندهم, فمنها المجمل ومنها المفصل وكلها تدور حول معنى واحد, ومن هذه التعاريف أنها:"مساواة= =الرجل للمرأة في الأمور الآتية: الإسلام، والنسب، والتقوى، والحرية، والمال والحرفة", وقيل: "الكفاءة في الزواج: المساواة بين الزوجين في أمور مخصوصة، ويعتبر الإخلال بها مفسداً للحياة الزوجية", وأما الكفاءة في مجال الإدارة وتنمية الموارد البشرية: فأيضا اختلف تعريف الباحثين لها وقاموا بتقديم تعاريف مختلفة لها تم استخلاصها من نتائج أبحاثهم ودراساتهم, لكنها تعريفات تدور حول تقديم الأقدر والأولى والأجدر على القيام بالعمل المراد إنجازه –وهوالمراد من بحثنا هذا– نذكر منها ما يلي: عرفها (لوك بايور) أنها: "القدرة على تنفيذ مهام محددة, وهي قابلة للقياس والملاحظة في النشاط, ويشكل أوسع الكفاءة هي استعداد لتجنيد وتجميع الموارد في العمل, والكفاءة لا تظهر إلا أثناء العمل", وعرفها (بويز وإيكيليباي) أنها:"القدرة على إنجاز المهام المحددة بالمزج بين المعارف النظرية والمعارف العلمية والإجراءات والممارسات

والكفاءة من أهم مقاييس النجاح للمؤسسات في تحقيق أهدافها بأقل تكلفة وأقل وقت ممكن, وأجود عمل, وتصل إلى قمة الهرم حينما تجتمع الموهبتان في شخصية واحدة كما هو الحال في شخصية القائد المُلْهَم (طالوت), ومن هنا أردت أن أبدأ بها لما يترتب عليها من نجاحات قيادية

والخبرة, وعرفها (ماريو) أنها :"القدرة التي يتصرف من خلالها الفرد في وظيفة وفقًا لشروط معبئة لتحقيق الأهداف المرجوة", وعرفتها الهيئة العالمية للتقنين بالمواصفة (ايزو ٩٠٠٠ و ٢٠٠٠) أنها: "قدرة الفرد على وضع معارفه في حيز التنفيذ", وعرفتها المجموعة المهنية الفرنسية أنها: "مزيج من المعارف النظرية والمعارف العملية والخبرة الممارسة, والوضعية المهنية هي الإطار الذي يسمح بملاحظتها والاعتراف بها وعلى المؤسسة تقييمها وتطويرها", وعرفها (جان ماري بيريتي) أنها: "مجموع ثلاثة أنواع من المعارف: معارف نظرية ومعارف عملية (خبرة) وبُعْد سلوكي (الكينونة) معبأة أو قابلة للتعبأة يستخدمها الفرد لإنجاز المهام الموكلة إليه بطريقة أحسن", وعرفها (جيلبرت وبارلييه) أنها: "مجموعة من المعارف والقدرات على التصرف والسلوكيات المهيكلة قصد تحقيق هدف في حالة معينة", وعرفها (غي بوترف) أنها: "القدرة على مزج وتنسيق الموارد في إطار عملية محددة، بغرض بلوغ نتيجة محددة تكون معترفًا بها وقابلة للتقييم، كما يمكن أن تكون فردية أو جماعية", وعرفها (جرانت) أنها: "قدرة مجموعة من الموارد على تحقيق مهمة أو نشاط ما", وخلاصة القول: أن تعريف الكفاءة يختلف باختلاف موطن بحثها فالكفاءة في القصاص غير الكفاءة في المبارزة غير الكفاءة في الزواج, ومما سبق من تعاريف للكفاءة في مجالات مختلفة يمكن الوصول إلى قاسم مشترك بينها هو أنها: مجموعة من الملكات والقدرات والإمكانيات الخاصة التي يتميز بها الفرد على أقرانه ويكون مؤهلا للقيام بواجباته وإنجاز المطلوب على الوجه= =الأكمل, أو هي: مجموع الصفات الداالة على مماثلة قدرة الشخص على المهمة والمسؤولية التي كُلِّف بها. يُنظر في هذا: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني سمس الدين جـ٤ صـ ٢٧٢ ط دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م, القاموس الفقهي لأبي حبيب سعدي صـ٣٢٠ ط دار الفكر ط٢ دمشق سورية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م, المفصل في أحكام المرأة د عبد الكريم زيدان جـ٦ صـ٣٢٥ ط مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م, الموسوعة الفقهية الكويتية, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية جـ ٣٤ صـ٢٦٦ ط دار السلاسل بالكويت ط٢ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م, تسيير الكفاءات الإطار المفاهيمي والمجالات الكبرى لكمال منصور وسماح صولح صـ٥٠ ط مجلة الأبحاث الاقتصادية والإدارية العدد ٧ يونيو ٢٠١٠م, إشكالية تسيير الكفاءات في المؤسسة لكلثوم مخلوف, مذكرة لنيل شهادة ماستر الأكاديمي في علوم التسيير, جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير, ٢٠١٤ – ٢٠١٥م, دورالكفاءات في تحقيق استراتيجية التميز لابن جدو محمد الأمين, رسالة ماجستير في علوم التسيير, جامعة سطيف الجزائرية, ٢٠١٢ – ٢٠١٣م, إدارة الكفاءات في المؤسسات العمومية دراسة حالة مؤسسة عمومية جزائرية, لخديجة عمار وتسعديت ورداني, شهادة ماستر في العلوم السياسية, جامعة مولود معمري الجزائرية, ٢٠١٧ – ٢٠١٨م, دور الكفاءات في تحقيق إستراتيجية التميز بالمؤسسة الاقتصادية الجزائرية لزهية زرواق, جامعة محمد بوضياف بالمسيلة بالجزائر ٢٠١٧ – ٢٠١٨م.

متى توفرت بمصداقية وشفافية, ومن رقي أو انحطاط للأمة, وإن شئت فقل: نصر أو هزيمة, ولأهميتها جاء الحديث عنها في القرآن الكريم وأيضا في العهد القديم بأساليب ومفاهيم شتى تصب في النهاية على مدلول الكفاءة.

أولاً: نماذج من العهد القديم

لقد ورد في العهد القديم: "لذلك يقول أصحاب الأمثال ايتوا إلى حشبون فتُبْنى وتصلح مدينة سيحون"(١), ففي هذا النص إشارة إلى أن رجلاً ذا كفاءة وقدرة إذا كان في المسؤولية فإنه يعمر ويقوم المعوج, وورد: "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك بل تلهج فيه نهارًا وليلًا لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه لأنك حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح"(٢), ففي هذا النص أيضًا دلالة على تولي صاحب الكفاءة العلمية فيكون على يديه الفلاح والنجاح, وورد: "فقال الشعب لا تخرج لأننا إذا هربنا لا يبالون بنا وإذا مات نصفنا لا يبالون بنا والآن أنت كعشرة آلاف منا والآن الأصلح أن تكون لنا نجدة من المدينة"(٣), وفي هذا النص أيضاً إشارة إلى أن صاحب الكفاءة الخِلْقية يكون على يديه الصلاح، وهو أجدر أن يتولى القيادة والمسؤولية؛ لأنه يعطي القوة للضعفاء, وورد: "والرب أعطى سليمان حكمة كما كلمه, وكان صلح بين حيرام وسليمان وقطع كلاهما عهدًا"(٤), وفيه إشارة إلى الكفاءة العلمية لأنه تعلم الحكمة التي من خلالها يكون الصلاح, وورد: "لا تسمعوا لحزقيا لأنه هكذا يقول ملك آشور: "اعقدوا معي صلحا واخرجوا إليَّ وكلوا كل واحد من جفنته وكل واحد من تينته واشربوا كل واحد ماء بئره"(٥), وفيه إشارة إلى أن الكفاءة الخُلُقية التي من خلالها تنقى القلوب تجعل كل إنسان في موقعه ولا يجور أحد على الآخر, وورد: "انظروا الأفضل والأصلح من بني سيدكم واجعلوه على كرسي أبيه وحاربوا عن بيت سيدكم"(٦), وفيه إشارة إلى الكفاءة السياسية التي من خلالها يقدم الأصلح ليكون هو المسؤول عن شؤون الرعية فيكون قائداً يدافع عن عرينه وبيته, وورد: "لأنكم إن

---

(١) الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد) سفر العدد, الإصحاح ٢١, الفقرة ٢٧ ط دار الكتاب المقدس, مصر, بدون ت.

(٢) الكتاب المقدس, سفر يشوع, الإصحاح ١, الفقرة ٨ (م.س).

(٣) الكتاب المقدس, سفر صموئيل الثاني, الإصحاح ١٨, الفقرة ٣ (م.س).

(٤) الكتاب المقدس, سفر الملوك الأول الإصحاح ٥, الفقرة ١٢ (م.س).

(٥) الكتاب المقدس, سفر الملوك الثاني الإصحاح ١٠, الفقرة ٣١ (م.س).

(٦) الكتاب المقدس, سفر الملوك الثاني الإصحاح ١٠, الفقرة ٣ (م.س).

أصلحتم إصلاحا طرقكم وأعمالكم إن أجريتم عدلا بين الإنسان وصاحبه"(١), وفيه إشارة إلى الكفاءة الإدارية والسياسية إن وُجد صاحب كفاءة فإنه يعدل بين الناس.

ثانياً: نماذج من القرآن الكريم

لقد ورد في القرآن الكريم العديد من مدلولات الكفاءة وضوابطها التي من شأنها أن تُحقق النصر والازدهار في ظل جو يسوده الحب والحق والعدل, منها: قوله (ﷻ):﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾(٢), وفيه دلالة على الكفاءة الجسدية والإيمانية التي رأتها ابنة الرجل الصالح في نبي الله سيدنا موسى (عليه السلام) ومنها قوله (ﷻ):﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾(٣), ووفيه إشارة إلى الكفاءة الإدارية والعلمية التي من خلالها عرض سيدنا يوسف (عليه السلام) مؤهلاته على عزيز مصر, ومنها قوله (ﷻ):﴿...وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾(٤), وفيه إشارة إلى أمر سيدنا موسى لأخيه هارون (عليه السلام) بالإصلاح وعدم الإفساد؛ ولا يأمره بأمر إلا وهو يعلم أنه صاحب كفاءة, وهو ما أظهره المدلول القرآني في قوله تعالى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾} (٥), وقوله تعالى: {وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾}(٦), ومنها قوله (ﷻ):﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾(٧), وفيه إشارة إلى تقديم صاحب الكفاءة الخِلْقية التي جعلت نبي الله سيدنا موسى (عليه السلام) يقدم أخاه هارون لكفاءته في الخِلْقة عليه, ومنها قوله (ﷻ): ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾(٨), فالله (ﷻ) يخبرنا بأن الناس درجات يُفَضَّل بعضهم على بعض بكفاءته, ومنها قوله

---

(١) الكتاب المقدس, سفر أرميا, الإصحاح ٧, الفقرة ٥ (م.س).
(٢) سورة القصص من الآية ٢٦.
(٣) سورة يوسف الآية ٥٥ .
(٤) سورة الأعراف من الآية ١٤٢.
(٥) سورة القصص من الآية ٣٤ .
(٦) سورة طه الآيات من ٢٩ : ٣٢ .
(٧) سورة القصص الآية ٣٤.
(٨) سورة الإسراء من الآية ٢١.

(ﷻ)﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾(١), ففي الآيتين إشارة إلى الكفاءة الدينية من امرأة عمران وامرأة فرعون.

إن من شأن الكفاءة بوجه عام أن تخلق عند القائد حالة من الثقة بالنفس مما يعكس عليه ثباتا ورصانة, "كما أنه ينبغي للقائد –حتى وإن كان متواضعاً – أن يشحن نفسه بمقدار كاف من الثقة بموهبته وإمكاناته بعيداً عن الغرور"(٢), وهو ما يراد به علو الهمة بالأمل والثقة في الله, والهمة تعني: "أن يرفع نفسه, فإن أنفة القلب من همم الأكابر؛ لأنهم يعرفون قدر أنفسهم فيعزّونها, ولا يرفع أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه"(٣).

وكل هذا لا يعني قسوة القلب فهو أول عوامل الانهزام, بل إن القائد الكفء هو الذي يجمع بين القوة في غير قسوة, وبين اللين في غير ضعف, فلا يصل إلى درجة الغرور والكبر, ولا إلى درجة الضعف والوهن, فكلاهما شر كبير, وأفضلهما قائد كفء يمتاز بالرفق واللين, يتحرك ويدور في ضوء خُطَى واضحة المعالم وهو واثق الخطوة دون استكانة أو ضعف, عن عائشة (1) قالت: قال رسول الله (ﷺ): (إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحبُ الرفق ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف وما لا يُعطي على سواه)(٤), وفي رواية: (إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَه ولا يُنزعُ مِن شيءٍ إلا شَأنَه)(٥), فالقائد الذي يُحرم الرفق يُحرم الخير كله, ولقد كان القائد الملهم (طالوت) كفئاً بما أوتي من معطيات واصطفاءات إلهية, رشحته لأن يكون –بلا منافس– في مجال القيادة, وصار قائدا وفارسا لا يُشق له غبار.

(١) سورة التحريم الآية ١١.

(٢) الطريق إلى القيادة وتنمية الشخصية لكورتوا صـ٢٢ ترجمة: سالم العيسي, ط١ ط دار علاء الدين, دمشق.

(٣) التبر المسبوك في نصيحة الملوك للإمام محمد أبي حامد الغزالي صـ٩٣ تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

(٤) أخرجه الإمام مسلم كتاب البر والصلة والآداب, باب فضل الرفق, رقم (٢٥٩٣) (٢٢/٨) ط دار الحديث بالقاهرة.

(٥) أخرجه الإمام مسلم كتاب البر والصلة والآداب, باب فضل الرفق رقم (٢٥٩٤) (٢٢/٨) (م.س).

المطلب الثاني

احترام ضوابط الاختيار

ويُعنى بها: حُسن الاختيار القائم على ضوابط علمية دقيقة غايتها الحق والعدل والمصلحة العامة, ليست المجاملة والمحسوبية أو المصلحة الخاصة, حتى يتسنى للقائد أن يعلو بمؤسسته ويُمكَّن لها, دون خرق أو هتك لهذه الضوابط أو غيرها تحت أي مبرر أو مسمى, مما يترتب عليه حدوث ضرر أو إلحاق مفسدة بالأمة, ومن هنا يتضح جليًّا أهمية احترام وتقدير هذه الضوابط, بدءًا بالقائد الأعلى للدولة, ومرورا بكل قادة المؤسسات –صغيرة أو كبيرة– مما تندرج تحت قيادة الدولة.

ألا وإن هؤلاء القادة يجب عليهم أن يُؤدوا عملهم المنوط بهم بحكم الأمانة, مقدِّرين قيمة المسؤولية الملقاة على عاتقهم, فإن خربت أمانة أولئك الرجال, وماتت ضمائرهم, وهم أركان الدولة, سقط بناء الأمة, وسُلب الأمن, وضاعت حُقوق المحكومين, وفشا فيهم القتل والتناهب, ووعرت طرق التجارة, وتفتَّحت عليهم أبواب الفقر والفاقة, وخوت خزائن الدولة, واستعصت على الدولة سُبل النجاح, وتقهقرت الدولة إلى الوراء, وسيطر عليها أعداؤها, يسومون أهلها سوء العذاب.

مِن أجل ذلك كان هذا المطلب –عن احترام ضوابط الاختيار– فلابد للقادة أن يُقدِّروا ضوابط اختيارهم, كما لابد أن نُحسن اختيار هؤلاء وغيرهم من القيادات وأصحاب المواقع الحساسة، وأن يسند كل عملٍ للأمثل فالأمثل ممَّن يستطيعون القيام به، وألا يدخل في عوامل الاختيار عامل القربى أو المَودة أو الصداقة مثلاً, فأمانة الحكم تقتضي احترام ضوابط الاختيار وإسناد المناصب العامة إلى الأمناء الأقوياء, والأكفاء المخلصين, "فإذا قُدِّم مَن يستحق التأخير, وأُخِّر مَن يستحق التقديم, كان ذلك إيذاناً بحرب من الله"([1]).

عن ابن عباس (3) **قال: قال رسول الله** (ﷺ): "مَن استعملَ رجلاً على عصابةٍ([2]) من المسلمين, وفيهم مَن هوَ أرضى للهِ منه, فقد خانَ الله ورسوله والمؤمنين"([3]), وعلى درب الرسول (ﷺ) سار الخلفاء الراشدون من بعده, فعن يزيد بن سفيان قال: "قال لي أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تُؤثرهم بالإمارة, وذلك أكثر ما أخاف عليك

([1]) إسلامنا للشيخ: السيد سابق صـ١٦٨ ط الفتح للإعلام العربي, بتصرف.

([2]) الجماعة من الناس.

([3]) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه جـ٥ صـ١٠٤ وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه, وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير جـ١١ صـ١١٤.

بعدما قال رسول الله (ﷺ): "مَن وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً فأمَّر عليهم أحداً مُحاباةً فعليه لعنةُ الله, لا يقبلُ اللهُ منه صرفاً ولا عدلاً(١), حتى يُدخلَه جهنم"(٢).

فجميع الحقوق المشروعة للمحكومين أمانة في عنق قادتها, وإنهم مسؤولون عن حمايتها, وتمكينهم منها, بحسن اختيارهم لمَن يتولون أمورهم, فأموال الدولة وأمنها: الحدودي, الغذائي, المائي, القومي...إلخ أمانة في يد القادة, والواجب عليهم أن يضعوا هذا نُصب أعينهم, وأن يتخذوا كل الإجراءات اللازمة لحماية هذا والحفاظ عليه بقوة وحسم دون تردد أو يد مرتعشة.

ومِن أجل هذا أذكر بعضاً من الصفات التي ذكرها الإمامان (الماوردي وابن خلدون) وهما يتكلمان عن صفات القائد، قالا: "ومنها: العلم, والعدالة, والكفاية, وسلامة الحواس والأعضاء مما يُؤثر في الرأي والعمل, واستكفاء الأمَناء وتقليد النُّصحاء فيما يفوضه الحاكم إليهم مِن الأعمال ويوكله إليهم مِن الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاية مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة, وأيضاً: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال، لينهض بسياسة الأمَّة وحراسة الملة، ولا يعوّل على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة, فقد يخون الأمين ويغش النَّاصح"(٣).

وحسبي أن أرجع إلى سيرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لنتعرف كيف حقق هذا على الوجه الذي ينبغي، فقد كان لحرصه الشديد على أن يحكم عمَّاله وولاته وقادته بالحق بالعدل يخرج مع مَن يستعمله منهم يشيعه، ويذكر لهم أنَّه لم يستعملهم على النَّاس لينالوا مِن أبشارهم وأموالهم وأعراضهم، وإنَّما ليُعلِّموهم كتاب الله وسنَّة رسوله، وليقضوا بينهم بالحق، ويقسموا بينهم بالعدل، ثم يقول للنَّاس: "فمن ظلمَه عامل بمظلمةٍ فليرفعها إليَّ حتَّى أقصه منه", فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين أرأيتَ إنَّ أدَّبَ أمير رجلاً مِن رعيته أتقصُّه منه؟ قال عمرُ: ومالي لا أقصُّه منه وقد رأيتُ رسولَ الله (ﷺ) يقص من نفسه"(٤).

ومكمن القضية: أن احترام ضوابط الاختيار يهدف إلى النصر والظفر, والحفاظ على الرعية والرفق بها, وهو شيمة من شيم الإسلام, وهدى من هدى رسول الله (ﷺ) وهو حماية للنفس

---

(١) أي: لا يقبل الله منه فرضاً ولا نفلاً.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده, مسند أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) رقم (١٢) جـ١ صـ٢٠٢ شرح وفهرسة أحمد شاكر ط مكتبة التراث الإسلامي,

(٣) يُنظر في هذا: الأحكام السلطانية والولايات الدينية للإمام: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي صـ٤ ط القاهرة سـ١٩٣٨م بتصرف يسير, ومقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون– صـ١٥٢ ط دار التحرير القاهرة سـ١٣٨٦هـ– ١٩٦٦م بتصرف يسير.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ صـ٢٨١ ط دار صادر, بيروت لبنان, بدون ت.

البشرية, وحفظ لها ولكرامتها من الإهانة التي لا تليق, ولقد ضرب النبي (ﷺ) وأصحابه من بعده أروع الأمثلة لكل من سولت له نفسه أن يتولى أمور المسلمين، فحكموا وعدلوا وما جاروا, ولقد حذَّر القرآن الكريم من الجور والظلم, قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾(١), وقال تعالى: ﴿...وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾(٢), فالقرآن الكريم توجيه حكيم للقادة أن يستشعروا خطورة موقعهم من الأمة, فهم مسئولون عنها أمام الحق سبحانه, قال سيدنا رسول (ﷺ): "كُلُّكُم رَاعٍ وَكُلُّكمُ مَسئُول عن رعيته, فالإمامُ راعٍ وهو مسئول.."(٣).

وعن عائشة (1) **قالت:** (كَتَبَ أَبِي فِي وَصيَّتِهِ سَطرَين: بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، هَذَا مَا أَوصَى بِه أَبُو بَكر بن أَبِي قحَافَة عِنْدَ خُروجه مِن الدُّنيَا, حِينَ يُؤمنُ الكَافرُ وَينتَهي الفَاجرُ وَيصدُقُ الكَاذِبُ، إِنِّي استَخلَفتُ عَليكُم عُمَرَ بن الخَطَّاب، فَإن يَعدل فَذَاكَ ظَنِّي بِه وَرَجَائِي فِيه وإِنْ يَجر وَيُبَدِّل فَلا أَعلَمُ الغَيبَ"(٤) ﴿...وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾(٥), ولكن عمر (رضي الله عنه) كان عند حسن الظن به، فلم يطمئن (رضي الله عنه) إلى نفسه لتنقده نقداً ذاتياً، ومع شفافية هذه النفس وشدة محاسبتها، إلا أنه لم يكتف بها، واصطفى لنفسه من الناس مَن يقدم له النصح.

فمن توفيق الله –تعالى– للقائد أن يرزقه بطانة خير, وأن يُبعد عنه بطانة السوء, لأن الأولى بصر وبصيرة, وعين ترقب..فترصد.. فترفع للحاكم, وأما الثانية فتحجب الحقيقة, وتطمس الحقوق, فيَضِلُّون ويُضلُّون, عن عائشة (1) قالت: قال رسول الله (ﷺ): (إِذَا أَرَادَ اللهُ بالأَمير خَيْراً جَعَلَ لَه وَزِيرَ صِدْقٍ, إِنْ نَسَى ذَكَّرَه وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَه، وَإِن أَرَادَ بِه غَير ذَلكَ جَعَلَ لَه وَزِيرَ سَوءٍ, إِنْ نَسَى لَم يُذَكِّرهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَم يُعينه)(٦), وفى رواية الإمام النسائي: (مَن وَلى مِنكُم عَمَلاً فَأَرَادَ مَعَه بِه خَيْراً, جَعَلَ لَه وَزِيراً صَالحَاً, إِنْ نَسى ذَكَّره, وإِنْ ذَكَرَ أَعَانَه)(٧), ولا عجب في ذلك!! فإن

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء من الآية ٢٢٧.

(٣) أخرجه الإمام البخاري كتاب النكاح باب قوا أنفسكم وأهليكم رقم (٥١٨٨) واللفظ له, (م.س), وأخرجه الإمام مسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل رقم (١٨٢٩). ط: دار الحديث, القاهرة.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير جـ٤ صـ١٦٨– ١٦٩ ت: محمد ابراهيم البنا, أحمد عاشور, محمود فايد, ط دار الشعب القاهرة سنة١٩٧٠م, وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ٣ صـ٣٥٥ ط: مكتبة أسامة الإسلامية, العقد الفريد لابن عبد ربه جـ٣ صـ٦٧.

(٥) سورة الشعراء من الآية ٢٢٧.

(٦) أخرجه الإمام أبو داود كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل برقم (٢٠٥٩) جـ٤ صـ٤٥٩.

(٧) أخرجه الإمام النسائي كتاب البيعة, باب وزير الإمام, رقم (٤٢٠٤) جـ٧ صـ١٥٩.

قضية احترام ضوابط الاختيار تُحمِّلُ الإنسان مصير قراره حتى بين أمانة العهد أو خيانته, بل بين الإيمان والشرك, وبين الجنة والنار.

إن موقع القادة موقع حساس للغاية إلا مَن أخذه بحقه, وسوء العاقبة فيها مصير مَن يُخالف, يقول الرَّسول (ﷺ): (مَا مِن عبد يسترعيه اللهُ رعيَّةً يموتُ يومَ يموتُ وهوَ غاشٌ لرعيَّتِهِ إلا حرَّمَ اللهُ عليه الجنَّة)(١)، وفى رواية: (مَا مِن أميرٍ يلي أمرَ المسلمينَ ثمَّ لا يجهدُ، لهم وينصحُ لهم, إلا لم يدخل معهم الجنَّة)(٢)، وإذا كانَ الرَّسول يحذرُ من خطورة موقع القائد ويبين أنَّ عقاب مَن يفعل ذلك مِن القادة حرمانه مِن دخول الجنَّة مع المؤمنين لأنَّه يعتبر غاشَّاً للأمَّة, فإنَّه يبين لنا في حديث آخر سُوء عاقبة هذا الصنيع على الأمَّة كلها، وهذا إذ يقول (ﷺ): (إذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر السَّاعة, قيلَ: يا رسولَ الله وما إضاعتها؟ قالَ: إذا وسِّد أي: أُسند- الأمرُ إلى غير أهله فانتظر السَّاعة)(٣)، ومعنى انتظار السَّاعة: خراب أمر الأمَّة وضياعها.

إن القيادة مسؤوليات وتكاليف لا يتحمل الإنسان فيها مسؤولية نفسه فقط, ولكنه يتحمل مسؤولية غيره من أفراد أو أمة أو أمم, وقد جُبل الإنسان علي شهوة التَّسلط والنفوذ وحب الظهور والتَّملُّك, وقد تدفعه هذه الشهوة إلى أن يسعى إلى منصب القيادة دون أن يكون أهلا لها, فتكون قيادته وبالا عليه وعلى غيره, ولذلك منع رسولُ الله (ﷺ) القيادةَ مَنْ حرصّ عليها,عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: دخلت على النبي (ﷺ) أنا ورجلان من بني عمي, فقال أحد الرجلين: يا رسول الله أمِّرْنا على بعض ما ولَّاك الله (عزَّ وجلَّ), وقال الآخر مثل ذلك, فقال: "إنا -والله- لا نُوَلِّي على هذا العمل أحدا سَأله ولا أحدا حرصَ عليه"(٤), وها هو أبو ذر (رضي الله عنه) يقول: "قلت يا رسولَ الله, ألا تستعملني؟ فضربَ بيده على منكبي ثمَ قالَ: "يا أبا ذر إنَّكَ ضعيفٌ وإنَّها أمانةٌ وإنَّها يومَ القيامةِ خزيٌ وندامةٌ إلا مَن أخذها بحقها وأدَّى الذي عليه فيها"(٥)، ولنا أن نرصد هذا, فإنَّ الرَّسول (ﷺ) لم يطعن في أمانة أبى ذر، ولكنَّه منعه الولاية, لأنَّه (ﷺ) رآه ضعيفاً, وهذا لا يُقلل من شأنه, فهو مَن قال فيه: "ما أظلت الخضراء(٦)، ولا أقلت الغبراء(٧) أصدق مِن أبى ذر,

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان, باب الوالي الغاش لرعيته رقم (١٤٢).
(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإمارة, باب فضيلة الإمام العادل رقم (١٤٢).
(٣) أخرجه الإمام البخاري كتاب الرِّقاق, باب رفع الأمانة رقم (٦٤٩٦) جـ٨ صـ١٠٤ تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ط الأولى سنة ١٤٢٢هـ ط طوق النجاة, (م.س).
(٤) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة.., رقم (١٧٣٣) وطرفه في (١٨٢٤).
(٥) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإمارة, باب كراهة الإمارة بغير ضرورة رقم ١٦ (١٨٢٥) (جـ٣ / ١٤٥٧).
(٦) الخضراء: السماء.
(٧) الغبراء: الأرض.

ولكن إذا كان الإنسان يرى من نفسه أهلاً لهذا المنصب فلا مانع من طلبه, وها هو سيدنا يوسف (عليه السلام) يقول –على ما أسلفت سابقًا– كما حكى القرآن الكريم عنه: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾(١).

هذا, وإن لخطورة المسؤولية في هذا الموقع الحساس, قد يكون مِن القليل اجتماع القوَّة والأمانة في القادة الذين يختار منهم لتولي المناصب القيادية، وإدارة شئون الدولة –إلا مَا رحم ربي– ولذلك مِن المأثور عن عمر بن الخطاب أنَّه قال: "اللهُمَ إنّي أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة", وإذن: فالإسلام يأمر بالاختيار لكل أمرٍ أو عملٍ بحسب ما يتطلبه مِن القوَّة أو الأمانة، ففي إمارة الحرب مثلاً يجب تقديم القويِّ على الضَّعيفِ الأمين، وفى أمر المال ونحوه يجب ملاحظة الأمانة قبل القوَّة..وهكذا.

ولقد رُوى: أنَّ الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) سُئل عن الرَّجلين يكونان أميرين في الغزو وأحدهما قويٌّ فاجر, والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يغزو؟ فقال: "أمَّا الفاجر القويُّ فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأمَّا الصَّالح الضَّعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزو مع القويِّ الفاجر"(٢)، وفى هذا يُروى عن النَّبي (ﷺ) أنَّه قال: "إنَّ اللهَ يُؤيِّدُ هذا الدينَ بالرَّجل الفاجر"(٣), وفي رواية: "إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم"(٤), فالله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

ولقد كان عمرُ بن الخطاب (رضي الله عنه) معروفاً بشيءٍ مِن الغلظة والشِّدَّة قبل أن يلي الخلافة، ومع هذا فقد عهد إليه أبو بكر بعد أن استشار أهل الرأي فيه, ولكنَّ عليَّاً وطلحة (3) دخلا عليه وقالا له: "فماذا أنت قائل لربك؟ قال: أقول له: استخلفت عليهم خير أهلك.."(٥), وفعلا عاشت الفكرة

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٥.

(٢) السياسة الشرعية للشيخ: عبد الوهاب خلاف صـ١٤ ط دار الشعب, دون ت.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول للإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير, باب فيمن قتل نفسه جـ١٠ صـ٢١٩ تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط, ط الأولى ط مكتبة الحلواني.

(٤) السنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي, باب الإستعانة بالفجار في الحرب جـ٨ صـ١٤٧ تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ط مؤسسة الرسالة بيروت ط الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ٤ صـ١٦٨ – ١٦٩ (م. س) والعقد الفريد لابن عبد ربه جـ٣ صـ٦٧ ط دار الفكر العربي.

ولقد عاش بها ولقي الله –تعالى– عليها, أي: إنها ظلَّت حقيقة يُعايشها طول عمره, وقد كان الفاروق فعلاً عند حُسن الظن به, فكان خير خلف لخير سلف.

لقد كان لإحساسه التَّام بثقل ما وقع على عاتقه مِن تبعاتٍ ثقالٍ، وبما عليه مِن مسؤوليَّةٍ أمام الله والأمَّة يقول: "لو علمتُ أنَّ أحداً مِن النَّاسِ أقوى عليه منِّى لكنتُ أقدم فتضرب عنقي أحب مِن أن أليه", فرحم الله هؤلاءِ القادة العظام وأمثالهم وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

المطلب الثالث

الدراسة العسكرية وفنون القتال

ويُقصد بها: وقوف القائد على كل ما يتطلبه علم المدرسة العسكرية ومعارك النزال, نظريًا وتطبيقيًا, وهذا باعتباره قائدا مسؤولا بقراره عن تاريخ أمة, حاضرها ومستقبلها, وما يترتب علي هذا من نتائج تُوجب عليه الحنكة الساسية(١) في السلم والحرب, وعلى مائدة المفاوضات في كل ما يخص الأرض والوطن, والنفس والعرض, ولابد أن تتوفر عنده الخبرة الميدانية في أرض النزال, والله –تعالى– لم يجعل للقائد طالوت بسطة في العلم ووفرة فيه إلا ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية(٢), وهذا ما رجّحه الإمام ابن عاشور (رحمه الله) في تفسيره لبسطة العلم في تفسير الآية الكريمة من حديث قصة القائد المُلْهَم(٣).

إن الخبرة بأي عمل هي أصل من أصول نجاحه, والجهل به سبب كبير لفشله, ولذلك فإن القائد لابدّ أن يكون ذا خبرة فائقة بشؤون الحرب وفنونها, وبرجاله الذين أعدهم لقتال الأعداء, وبالعدو الذي يقاتله, وسلاحه الذي يستعمله, وبالأرض التي تكون عليها المعركة من سهول وجبال وغابات ومياه وغير ذلك"(٤), يعني: البيئة الجغرافية والتضاريس المحيطة بها من كل جانب, مع العلم بدراسة فنون الحروب, والاطلاع على كل حديث من آلياتها وأسلحتها وفنونها المختلفة والمتعددة المصدر, ناهيك عن المناورات العسكرية التي تتبادلها الجيوش المختلفة لتبادل الخبرات والوقوف على كل جديد, وهو ما يُعرف بالحرب الحديثة, كذلك الخبرة بتاريخ مَن~

---

(١) هي من حيث اللغة تعني: "القيام على الشيء بما يصلحه, وسُسْت الرعية سياسة: أمرتها ونهيتها, وسوِّس الرجل: إذا مُلِّك أمرهم, والسَّوْس: الرّياسة, وإذا رأَّسوه –بالشديد– قالوا: سوَّسوه وأساسوه. ورجل ساس من قوم ساسة وسُوَّاس. والسياسة: فعل السائس, يقال: هو يسوس الدواب: إذا قام عليها وراضها, والوالي يسوس رعيته", ومن أحسن ما عرّفت به السياسة: "معرفة كل ما يتعلق بفنّ حكم دولة وإدارة علاقتها الخارجيّة". يُنظر في هذا: تاج العروس للزبيدي, محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى, تحقيق: مجموعة من المحققين, طبعة دار الهداية, باب (س و س), ١٥٩/١٦؛ ولسان العرب لابن منظور, مادة (سوس), ٦/ ١٠٧ (م. س) (بتصرف). وعلم السياسة لمارسيل بريلو, صـ١١ ترجمة: محمد برجاوي ط منشورات عويدات, بيروت لبنان.

(٢) روح المعاني للإمام: الألوسي صـ٢ جـ١٦٧ (م. س) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير للإمام: ابن عاشور جـ٢ صـ٤٩١ ط دار سحنون, تونس ١٩٩٧م.

(٤) الجهاد في سبيل الله: حقيقته وغايته لعبد الله أحمد القادري جـ٢ صـ١٢–١٣ ط٢ ط دار المنار, جدة, السعودية ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

يُحاربهم للوقوف على تراثهم الفكري ومخزونهم الثقافي والحضاري في هذا المجال, وكل ذلك داخل في بسطة العلم.

ولقد كان هذا هو المطلب الرئيس لبني إسرائيل كما حكى القرآن الكريم: ﴿...ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ...﴿٢٤٦﴾﴾(١)، إنه القتال والحرب, فكان لابد أن يكون القائد القادم مُلِمَّاً بفنون الحرب والنزال, إذ هي المقصود الأول من اختياره, وهذا ما توفر في القائد المُلْهَم طالوت, فعن ابن عباس (3) قال: "كان طالوت أعلم بني إسرائيل بالحرب"(٢), وهو ما أيده الإمام الكلبي (رحمه الله)(٣), ورجّحه الإمام الزمخشري (رحمه الله) بقوله: "والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب"(٤).

ويجدر بنا هنا ذكر لطيفة ذكرها الإمام الفخر الرازي (رحمه الله) تدلّ على أن القائد لابدّ له أن يكون عالي الهمة في التطوير الذاتي الدائم لعلمه, وأن لايقف عند حد معين ولو كان مَلِكَاً, حيث إنه قال في تعليقه على قوله سبحانه: ﴿...وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ...﴿٢٥١﴾﴾(٥), "فإن قيل: إنه تعالى لما ذكر أنه آتاه الحكمة, وكان المراد بالحكمة النبوة, فقد دخل العلم في ذلك, فلِمَ ذكر بعده: (وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ)؟, قلنا: المقصود منه التنبيه على أن العبد قط لا ينتهي إلى حالة يستغني فيها عن التعلم, سواء كان نبياً أو لم يكن, ولهذا قال سبحانه لسيدنا محمد (ﷺ):﴿...وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴿١١٤﴾﴾(٦)(٧).

فيتبين لنا بذلك أن العلم في الآية الكريمة يدخل فيه العلم بالشؤون العسكرية وفنون القتال التي تتطلبها إدارة المعارك, بل قد فسر أيضاً عدد من أهل العلم قوله تعالى عن داود (عليه السلام) (وَعَلَّمَهُۥ

(١) سورة البقرة من الآية ٢٤٦.
(٢) زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي جـ١ صـ٢٤٣ ط٣ ط المكتب الإسلامي, بيروت لبنان ١٤٠٤هـ.
(٣) معالم التفسير في تنزيل القرآن للإمام البغوي جـ١ صـ٢٩٨ (م. س).
(٤) الكشاف للإمام الزمخشري جـ١ صـ٢٨٨ (م. س), وتفسير القرآن للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني جـ١ صـ٢٥٠ تحقيق: ياسر ابن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط دار الوطن بالرياض السعودية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
(٥) سورة البقرة من الآية ٢٥١.
(٦) سورة طه من الآية ١١٤.
(٧) مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي جـ٦ صـ٢٠٥ (م. س).

مِمَّا يَشَآءُ)) بأنه صناعة الدروع([1]), وهو من الصناعات الحربية التي تسهم في دفاعات الجيش وتعزيز موقفه, ولا يوجد في تاريخ بني إسرائيل دلالة على قيام جيش قوي ومنظّم إلا في عهد القائد المُلْهَم (طالوت), ومما يؤكد مهارته وعلمه بفنون الحرب والقتال, سياسته الرائعة في إدارة دفّة المعركة لصالحه, حتى حظى بالنصر والظفر, وتمكن من بتر دار الأعداء, وهو ما حكاه القرآن الكريم: ﴿...وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ...﴿٢٥١﴾﴾([2]).

كما أن من شأن الدراسات العسكرية الناجحة أن تُخرِّج قائدا يمتلك فن القيادة في التعامل مع جنده وقواده, وهو ما يُعرف بفقه القيادة لدى القائد الفارس, ولقد أجمع قادة الحروب العسكرية في العصر الحديث على أن القائد الناجح لابد أن يمتلك فن الاتصال, والتواصل الدقيق والعميق بينه وبينه جنده, أو أفراد مؤسسته, وهو ما يتوفر نتيجة مجموعة من الضوابط والأسس النظرية والتطبيقية, وعلى رأس ذلك دور الكلمة ومدى تأثيرها على نجاح أي قائد, ولذلك نجد بين أنواع الخطابة: الخطابة الحربية التي يُلقيها القائد لجنده حتى يُشمِّروا عن ساعد الجد في شجاعة وإقدام بكل حسم وحزم, ولقد صدق النبي (ﷺ) حين قال: "إن من البيان لسحراً"([3]), ولقد تجلى هذا واضحا بين ثنايا القصة من خلال مخاطبة القائد الْمُلْهَم لبني إسرائيل, فقد خاطبهم بكل فصاحة وبيان لاقناعهم والتأثير عليهم.

ومن هنا تأتي خطورة الكلمة التي تُمثِّل عند القائد الحياة أو الموت, عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال: قدم رجلان من المشرق, فخطبا, فعجبا الناس –يعني: لبيانهما– فقال رسول الله (ﷺ): (إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا) أو (إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ)([4]), ولعلَّ الأمر واضح جلي فخطاب القائد إن كان فيه إطناب ممل, واستطراد غير مقبول, تشمئزه النفوس الآذان, ولا ترتاح له العقول, يرفضه الجندي المقاتل, أو الفرد داخل المؤسسة, فيُدبر عنه غير مُقبل عليه, ولا شك فإن للقلوب إدبارًا وإقبالًا, فهي مقبلة على ما تُحب وتعشق, ومدبرة عن كل تشمئز وتكره.

كما أن الكلمة الآسرة من القائد من شأنها أن تجذب الأبصار والعقول, وهذا خطرها إذ قيلت في غير موضعها, عن عبد الله بن ثابت (رضي الله عنه) قال: حدثني صخر بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (إِنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرًا, وإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً, وإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ

([1]) معالم التفسير في تنزيل القرآن للإمام البغوي جـ١ صـ٣٠٧ (م. س).

([2]) سورة البقرة من الآية ٢٥١.

([3]) أخرجه الإمام البخاري كتاب الطب, باب (إن من البيان لسحراً), جـ١٠ صـ٢٠٢ رقم (٥٤٣٤) (م.س).

([4]) أخرجه الإمام أبو داود كتاب الأدب, باب ما جاء في المُتشدِّق في الكلام رقم (٥٠٠٧).

حكمَاً, وإنَّ مِنَ القَوْلِ عِيَالاً)(١), فقال صعصعة بن صوحان: صدق رسول الله (ﷺ) أما قوله: "إنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرَاً" فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحُجج من صاحب الحق, فيسحر القوم ببيانه فيذهب الحق, وأما قوله: "وإنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً" فيتكلَف العالم إلى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك, وأما قوله: "وإنَّ مِنَ الشِّعْرِ حكمَاً" فهي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس, وأما قوله: "وإنَّ مِنَ القَوْلِ عِيَالاً" فعرضُكَ كلامك وحديثك على مَن ليس من شأنه ولا يُريده.

كما أن مواقف الحسم وظروف النزال تتطلب من القائد الإيجاز والتعبير بدقة وعمق مراعاة للظرف والحال, فلا مجال للثرثرة والاستطراد, ومن هذا المنطلق ينبغي على القائد أن يكون واضح الجملة, سهل العبارة, بيّن المقصد, بعيداً عن التَّكلف, الإيجاز فيه ملحوظ, يفي بالغرض المطلوب من أقرب أسلوب رصين وقليل الظهور حتى يعكس هذا عليه هيبة ووقارا, وهذا دور الدراسات العسكرية الحديثة في دورات القادة, روي أن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال يوماً – وقام رجل فأكثر القول– فقال عمرو: "لَوْ قَصَدَ في قوله لكان خيراً له" سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (لَقَدْ رَأَيْتُ أَوْ أُمِرْتُ أَنْ أَتَجَوَّزَ فِي القَوْلِ, فإِنَّ الجَوَازَ هُوَ خَيْرٌ)(٢), من هنا ينبغي أن يفرض المقام نفسه على المقال, فلكل حدث حديث, ولكل مقام مقال, وكما قالوا عن فن القيادة: القائد كلمة, فليتدبر.

هذا, وإذا كانت كلمات القائد تُعدُّ عليه –ولابد أن تكون بميزان– فإن هذا لا يتنافى مع أخذه بمبدأ الشورى, وما يتطلبه هذا من الأخذ والرد حتى لا يوصف القائد بالأثرة في الرأي, وهو ما يُعرف الآن (بالديكتاتورية) وهي ضد منهج فقه القيادة, إذ إنها تُعد واحدة من أهم أسس فقه القيادة, وفن الحرب والنزال, وهي ملزمة في حق القائد, قدوة بسيدنا رسول الله (ﷺ) وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾(٣), مما يعكس لنا مكانة الشُّورى وأهمِّيَّتها في فن القيادة.

ولقد كان النبي (ﷺ) يُشاور أصحابه في الأمور الهامة التي لم ينزل فيها وحي من السماء, ولذلك فقد ندَّد الله (ﷻ) في كتابه الحكيم, بالانفراد والتسلط بالرأي, وليس أدل على ذلك مما حكاه القرآن الكريم عن فرعون مصر, الذي ما كان يسمح أن يعلو صوت على صوته ولو كان صوت

(١) أخرجه الإمام أبو داود كتاب الأدب, باب ما جاء في الشعر, رقم (٥٠١٢).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود كتاب الأدب, باب ما جاء في المُتشدِّق في الكلام رقم (٥٠٠٨).

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

حق, قال تعالى: ﴿...قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾(١), وإنَّ كتب التَّاريخ والتَّفسير والحديث مليئة بل طافحة بالأمثال الدَّالة على استشارة القائد الأول (ﷺ) لأهل الرَّأي في مواطن الحسم والحزم, وهذا من فقه القيادة بمكان, **ولنذكر من ذلك:**

أوَّلاً: في غزوة بدر(٢) لمَّا بلغ الرَّسول (ﷺ) خروج قريشٍ ليمنعوا عِيرهم, استشار أصحابه: فقامَ أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثمَّ قام عمر بن الخطَّاب فقال وأحسن ثمَّ قام المقداد بن عمرو فقال: "يا رسول الله: امض لما أمركَ الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون فوالذي بعثكَ بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد(٣) لجالدنا معك من دونه حتَّى تبلغه، فقال الرَّسول (ﷺ) خيراً ودعا له به ثمَّ قال: "أشِيْروا عَليَّ أيُّها النَّاسُ" وإنَّما يريد الأنصار، لأنَّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنَّا براء مِن ذمامك حتَّى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعكَ مما نمنعُ منه أبناءنا ونساءنا، فكانَ النَّبيُّ يتخوَّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممَّن دهمه(٤) بالمدينة من عدوه، وأنَّه ليس عليهم أن يسير بهم مِن بلادهم إلى عدو خارجها.

فلمَّا أعاد رسول الله (ﷺ) قوله: أشيروا عليَّ أيها الناس بعد كلام المقداد قال له سعد بن معاذ –وكان سيِّد الخزرج مِن الأنصار: "والله لكأنَّك تريدنا يا رسولَ الله؟ قالَ: أجل، فقالَ: قد آمنَّا بكَ وصدَّقناكَ وشهدنا أنَّ ما جئتَ به هوَ الحقُ, وأعطيناكَ على ذلكَ عهودنا ومواثيقنا على السَّمع والطاعة، فامض يا رسولَ اللهِ لما أردتَ فنحنُ معكَ فوالذي بعثكَ بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضته لخضناه معكَ ما تخلَّفَ منَّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنَّا لصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ في اللقاءِ، لعلَّ اللهَ يُريكَ منَّا ما تقرُ به عينكَ فسِرْ عَلى بركةِ الله"، فَسُرَّ رسولُ الله (ﷺ) بقول سعد ونشَّط ذلكَ، ثمَّ قالَ " سِيْروا وَأبْشِروا فإنَّ اللهَ تعالى قد وَعدني إحدى الطائفتين والله لكأنِّي الآنَ أنظرُ إلى مَصارع القوم"(٥), إنها الشورى فالعزم, ثم القرار فالحسم.

---

(١) سورة غافر من الآية ٢٩.

(٢) وتسمى: بدر الكبرى, بدر القتال, ويوم الفرقان, وكانت في العام الثاني من الهجرة, السابع عشر من شهر رمضان, الموافق ١٣ مارس ٦٢٤م. لمُطالعتها انظر الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي, د. راغب السرجاني جـ١ صـ٣٢ وما بعدها طـ١ ط مؤسسة اقرأ بالقاهرة.

(٣) موضع بناحية اليمن, معجم البلدان لياقوت صـ١٩٩ ط صبيح.

(٤) دهمه: فجأه, لسان العرب لابن منظور مادة دهم.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام م١ صـ٤٥٨ ط دار الحديث بالقاهرة.

ثانياً: وفى هذه الفترة قُبيل التحام المسلمين بالمشركين في معركة بدر أيضاً كانت مشورة أخرى قَبِلها الرَّسول (ﷺ) وذلك أنَّه (ﷺ) سار بأصحابه حتَّى إذا جاءَ أقربَ ماء مِن ماء بدر فنزل الحُباب بن المنذر فقالَ: "يا رسولَ الله أرأيتَ هذا المنزلَ؟ أمنزلا أنزلكه اللهُ ليسَ لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هوَ الرأي والحربُ والمكيدة؟" قالَ رسول الله (ﷺ): "بل هوَ الرأي والحربُ والمكيدة", قالَ الحباب: "يا رسولَ اللهِ فإنَّ هذا ليسَ بمنزلٍ فانهض النَّاس حتَّى نأتي أدنى ماء مِن القوم فننزله ثم نُغوِّرُ "أي: نفسد بإلقاء الحجارة والتراب" ما وراءَه من القلب "أي: الآبار" ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثم نقاتلُ القومَ فنشربُ ولا يشربونَ"، فقالَ الرَّسولُ (ﷺ): "لقد أشرتَ بالرأي فنهضَ ومَن معه مِن النَّاس فسارَ حتَّى إذا أتى ماءً مِن القوم نزلَ عليه ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فمُلئ ماءً"(١), إنه فقه القيادة, فليس في فن القيادة تسلط لرأي, أو استبداد لفكرة, وإنما الأمر على مائدة المفاوضات لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب على الوجه المناسب, بما يُحقق الغاية والهدف.

ثالثاً: وأذكرُ بعد هذا مثالاً آخراً لاستشارة الرَّسول (ﷺ) أصحابه, وكان في غزوة أحد(٢), وذلك أنَّه بلغه مجئ المشركين مِن قريش وأتباعهم إلى المدينة للانتقام ممَّا أصابهم يوم بدر, فلمَّا سمع بنزولهم أُحداً (أي: جبل أُحد) قالَ لأصحابه كما يذكر الإمام الطَّبريُّ (رحمه الله) في تاريخه: "أَشِيْروا عَليَّ مَا أَصْنَعُ" فقالوا: يا رسولَ اللهِ أخرج بنا، وقالت الأنصار: يا رسولَ الله ما غلبنا عدو لنا قطُّ أتانا في ديارنا فكيفَ وأنت فينا(٣).

وكانَ مِن هذا الرأي عبد الله بن أبى بن سلول الذي قال: "أقم يا رسولَ اللهِ ولا تخرج إليهم بالنَّاس، فإن هم أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن جاءونا إلى المدينة قاتلناهم في الأفنيةِ وأفواه السِّككِ ورمَاهم النِّساءُ والصِّبيانُ بالحجارة مِن الآكام، فوالله ما حاربنا عدواً في هذه المدينة إلا غلبناه"، وكانَ رسولُ الله (ﷺ) يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا في الأزقَّة..

ثمَّ إنَّ رسولَ الله دعا بدرعه فلبسها، فلمَّا رأوه قد لبسَ السِّلاحَ ندموا وقالوا: "بئس ما صنعنا، نشيرُ على رسول الله (ﷺ) والوحي يأتيه"، فقاموا فاعتذروا إليه وقالوا: "اصنع ما رأيتَ"، فقالَ الرَّسولُ (ﷺ): "لا ينبغي لنبيٍّ أن يلبسَ لأمته(٤) فيضعها حتَّى يُقاتل"(١), ولنا أن نلاحظ هنا

---

(١) السابق نفسه م١ صـ٤٦٢.

(٢) وكانت في العام الثالث من الهجرة, السابع من شهر شوال. لمُطالعتها انظر الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي, د. راغب السرجاني جـ١ صـ٣٩ وما بعدها (م. س).

(٣) أي كان رأيهم عدم الخروج بل القتال فى المدينة إن جاءت قريش إليها.

(٤) اللَّأمة: الدرع وقيل: السلاح ولأمة الحرب: أداته وقد يترك الهمز تخفيفاً.

أنَّ رسول الله (ﷺ) كان مِن رأيه عدم الخروج عن المدينة، وهذا كان رأى الأنصار أيضاً ولكنَّه وافق على رأى القائلين بالخروج للقاء قريش، ولعلَّه كان رأى الكثرة مِن أصحابه، كما ينبغي أن نلاحظ أيضاً أنَّه لم يأته (ﷺ) وحىُ مِن الله تعالى في هذا الأمر وإلا لكان خضع له وعزم عليه بطبيعة الحال سواء وافق رأى أصحابِه أو خالفهم.

ومن هذا المنطلق يبقى مبدأ الشورى ملزما للقائد, وهو أحد أركان فقه القيادة, بل يُمثل قاعدة عريضة, يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله): "أخطأ من المفسرين مَن يقول: إن الشورى غير ملزمة, فما جدواها إذن؟ وما غناؤها في تقويم عوج الفرد إذا كان من حقه ألا يتقيد بها؟ وأين في حياة الرسول وسيرة الخلفاء ما يدل على أن القائد خرج على رأي مستشاريه ومضى في طريقة واحدة؟"(٢), ويقول في موطن آخر: "أما القول بأن الإسلام أقر الشورى في الحكم, وأعفى الحاكم من نتائجها, وأن البناء السياسي للأمة الإسلامية يقوم على هذا الأساس فكلام باطل, وهو قد يقع على ألسنة لم تُحسن دراسة الإسلام ولا تدبر تاريخه, ولا سير القافلة البشرية في الشرق والغرب, ولا وظيفة الأمة الإسلامية في العالم"(٣).

وهكذا كان مبدأ الشّورى دعامةً أساسيَّةً من دعائم فقه القيادة, يقول بشار بن برد (رضي الله عنه):

(١) السيرة النبوية لابن هشام م٢صـ١٩ (م.س).

(٢) أزمة الشورى في المجتمعات الإسلامية والعربية للشيخ: محمد الغزالي صـ٤٥ ط دار الشرق الأوسط ط الأولى سـ١٤١١هـ.

(٣) الإسلام والاستبداد السياسي للشيخ محمد الغزالي صـ٥٥ ط الثالثة ط دار الكتاب سـ١٤٠٤هـ.

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً * فإن الخوافي(١) قوة للقوادم(٢)

ويقول آخر:

الرأي كالليل مسود جوانبه * والليل لا ينجلي إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجالِ إلى * مصابيح رأيكَ تَزْدَدْ ضوء مصباحِ

ولله در القائل:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به * رغم الخلاف ورأي الفرد يُشقيها

ولله در القائل:

شاوِر صديقَكَ في الخَفيِّ المُشْكِلِ * واقْبَلْ نَصيحةَ ناصِحٍ مُتَفضِّلِ
فاللهُ قد أَوصَى بذاكَ نبيَّهُ * في قَولِهِ شاوِرْهُمُ وتَوكَّلِ

وقال آخر:

إذا كُنتَ في حاجةٍ مُرسلاً * فأرسل حكيماً ولا توصه
وإن بابُ أمرٍ عليكَ التَوى * فَشَاور لبيباً ولا تَعْصِهِ

(١) الخوافي: ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح.
(٢) قوادم الطير: مقاديم ريشه وهي عشر في كل جناح, الواحدة: قادمة.

المطلب الرابع

ضبط النفس

وهي دراسة كبيرة أسهب فيها علماء علم النفس والاجتماع لما يرتبط بها من عوامل فسيولوجية وسيكولوجية أو عضوية ونفسية, وهي تتطلب من القائد أن تكون لديه القدرة على التَّحَكم في نفسه بضبطها مهما كان الموقف, وهي أكثر ما تكون ارتباطا بالجانب الخُلُقي, حيث ضبط النفس وترك الغضب وتجنب المؤثرات, لما يترتب عليها من أضرار وخيمة, خاصة عند صانع القرار, الذي يُوجب عليه موقعه الحسَّاس ضبط النفس والتؤدة والتروي, واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب, بعد تأمل وتدبر, بالفحص والدرس.

وضبط النفس هذا عامله الرئيس هو: العلم الشرعي, فإنه مما لا شك فيه أن القائد لابد أن يكون ملما به, ففيه تزكية للنفس وترويض لها على الفضائل وتجنب النقائص, وإن من نتيجة ذلك أن يكون القائد على بصيرة من أمره, وهو مما يتحبب به إلى أنصاره أو أفراد مؤسسته, وبذلك يتجنب الانزلاق إلى المهالك, ولذلك فسّر بعض العلماء قوله سبحانه في شخصية القائد طالوت: "وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ" بقوله: "والظاهر علم الديانات والشرائع"(١), فالعلم المطلوب بالنسبة للقائد بإجمال هو كما قال الإمام البقاعي (رحمه الله): "العلم الذي به تحصل المُكْنة في التدبير والنفاذ في كل أمر"(٢), ولهذا كان الجهاد نوعين:

الأول: جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير.

والثاني: الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه، قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾(٣) فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين"(٤).

---

(١) البحر المحيط للإمام أبي حيان جـ٢ صـ٢٦٦ (م. س).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي جـ٣ صـ٤١٨ (م . س).

(٣) سورة الفرقان، الآيتان ٥١ – ٥٢.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية صـ٧٠ ط دار الكتب العلمية, بيروت لبنان ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

ومما لا شك فيه أن التقوى تأتي في طليعة ثمرات العلم النافع، وهذا مستقى من وصف الله لطالوت بأنه أوتي بسطة في العلم، إذ ما نفْع العلم إن لم تظهر آثاره بالتقوى، ولذلك كان السلف (ﷺ) يعرّفون العلم بـ(الخشية)، وليس أدل على ذلك من أن الإمام الدّارمي (رحمه الله) بوَّب في سننه "باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله"(١).

وقال ابن مسعود (ﷺ): "ليس العلم عن كثرة الرواية، ولكن العلم الخشية"(٢), وهو مأخوذ من قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٣)، فإذا كان القائد (الملك) يأنف أن يكون في رعيته من هو أنفذ أمراً منه، فكذلك ينبغي له أن يأنف من أن يكون في رعّيته من هو أفضل ديناً منه(٤).

ولقد كان هذا جزءا من خطة القائد المُلهَم طالوت في المعالجة وتصحيح المسار, فإن من أهم الأهداف التي حرص عليها طالوت: تقويم أخلاق اليهود بتزكيتها وإعادة ضبطها دينيًّا بعدما أطلقوا لها العنان، فهم القوم الذين ساءت أخلاقهم وفسدت فطرتهم، وكل هذا الصنيع حتى يكونوا على استعداد تام لمجابهة الأعداء في القتال, ولكن قبل ذلك كله يلزم في حق القائد: "ذا الإمرة والسلطان أن يبدأ بسياسة نفسه, ليحوز من الأخلاق أفضلها, ويأتي من الأفعال أجملها, فيسوس الرعية بعد رياضته, ويقومهم بعد استقامته, فإذا بدأ بسياسة نفسه كان على سياسة غيره أقدر، و إذا أهمل مراعاة نفسه كان بإهمال غيره أجدر, فبعيد أن يحدث الصلاح عمن ليس فيه صلاح, لأن ضرورة نفسه أمسّ, وهو بتهذيبها أخص"(٥).

ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه, ولهذا ذم الله تعالى من ترشح لسياسة غيره, فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهو غير مهذب في نفسه، فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ

(١) سنن الدارمي للإمام عبد الله بن عبد الرحمن جـ١ صـ٩٩ تحقيق: فواز ولي, خالد السبع ط١ ط دار الكتاب العربي, بيروت لبنان ١٤٠٧هـ.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني جـ١ صـ١٣١ ط٤ ط دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ, وأخرجه الإمام أحمد في الزهد صـ١٥٨ ط دار الكتب العلمية, بيروت لبنان.

(٣) سورة فاطر الآية ٢٨.

(٤) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة المُلك لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي تحقيق: محي هلال السرحان صـ١٤٨ ط دار النهضة العربية, بيروت لبنان ١٩٨١م بتصرف.

(٥) السابق نفسه صـ٤٧.

وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾(٢) أي هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم(٣), وقال تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)**(٤).

لن يتحقق للقائد أي انتصار بعد ضبط نفسه ما لم تقم دولته على ترويض النفوس بحب الحق والعدل, والموت لأجله حتى وإن كان من نفسه, وهو ما حققه القائد المُلْهَم (طالوت) في بني إسرائيل فتحقق له النصر والظفر, فإنَّ العدل أساس الملكِ, ولذلك أمر الله –تعالى– به قال (ﷻ): ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٥), وقال تعالى: ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ... ﴾(٦).

ولم يقف التَّاريخ الإسلامي موقف الثبات عند قادة بعينهم ساسوا دولهم بحب العدل والإنصاف, ولكنَّ نماذج السَّابقينَ أكثر من أن تحصى، فعصور التَّاريخ الإسلامي مليئة بالقادة الأمناء، الذين عرفوا قدر المسؤوليَّة الملقاة على عاتقهم، بَلْ رأينا من القادة مَنْ اقتص من ولده، ليرجع الحق إلى أهله، لا يهمُّه ممَّن يأخذ الحقَ، ولا مَن يرجعه إليه, بل مَنْ قدَّم نفسه أمام القضاء مع خصم غير متكافئٍ معه حتى في الدين, وما موقف سيدنا الإمام علي (ﷺ) مع اليهودي منا ببعيد(٧).

ولقد جلسَ المأمونُ يوماً للمظالم، فكان آخر مَن تقدَّم إليه وقد همَّ بالقيام امرأة عليها هيئة السَّفر، وعليها ثياب رثَّة، فوقفتْ بين يديه فقالتْ: "السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" فنظرَ المأمونُ إلى يحي بن أكثم(٨) فقال لها يحي: وعليكِ السَّلامُ يا أمَة الله، تكلمي في حاجتك، فقالت:

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ١٠٥.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ٨٤ (م. س).

(٤) سورة الصف الآيات ٢ : ٣.

(٥) سورة النحل الآية ٩٠.

(٦) سورة النساء من الآية ٥٨.

(٧) في قضية الدرع وهي مشهورة في كتب التأريخ والسير.

(٨) هو: يحي بن أكثم قاضي قضاة الدولة العباسية لعهد المأمون, ومن سلالة أكثم ابن صيفي توفي سنة ٢٤٢, سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي جـ٩ صـ١٢٢ (م. س).

يَا خَيْرَ مُنتصرٍ يُهدى لـه الرَّشَدُ * وَيـَا إمامـاً بـهِ قـدْ أشـرقَ البلـدُ
تشـكو إليـكَ عميـدَ القـوم أرملـة * عُدِي عليهَا فلم يُتْرك لها سبَدُ(١)
وابتـزَّ منـي ضـياعي بعد مِنْعتها * ظُلْمـاً وفـُرِّقَ منـّي الأهـلُ والولـدُ

فأطرقَ المأمونُ حيناً ثُم رفعَ رأسه إليها وهو يقول:

فـي دون مـا قلـتِ زالَ الصَّبرُ والجلـدُ * عنـّي وأقـرحَ منـّي القلـبُ والكبـدُ
هـذا أوانُ صـلاة العصـر فانصـرَفِي * وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أعدُ
والمجلسُ السَّبت إن يُقض الجُلوسُ لنا * نُنْصفك منـه وإلا المجلـس الأحـدُ(٢)

فلمَّا كانَ يوم الأحد جلس فكان أوَّل من تقدَّم إليه تلك المرأة فقالت: "السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" فقال: وعليك السَّلام، أين الخصم؟ فقالت الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين، وأومأتْ إلى العبَّاس ابنه، فقال: يا أحمد يا ابن أبي خالد: خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامَها يعلو كلام العبَّاس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله إنَّك بينَ يدي أمير المؤمنين فاخفضي مِن صوتك، فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإنَّ الحق أنطقها وأخرسه، ثمَّ قضى لها برد ضيعتها إليها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يُوفِّر لها ضيعتها، ويُسن معونتها، وأمر لها بنفقة(٣).

من هنا ينبغي أن تكون الانطلاقة التي يستطيع القائد أن يقف من خلالها على قدم وساق ثابتة في ظل أرض راسخة (صُلبة) غير رِخْوَة, تنطلق من منطلق الإنصاف قبل العدل, ففي الوقت الذي يكون فيه القائد عادلا لغيره لابد أن يكون منصفا من نفسه –وهو أعلى درجات العدل– قدوته في ذلك سيدنا رسول الله (ﷺ) الذي أعطى القود من نفسه في أرض النزال يوم بدر مع الصحابي الجليل سواد بن غزية (رضي الله عنه) فليتدبر وليتأمل.

(١) أصل السبد: القليل من الشعر, ويقال ما له سبد ولا لبد أي لا قليل ولا كثير.
(٢) قوله: وإلا المجلس أسقط منه فاء الجواب للضرورة.
(٣) جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي جـ١ صـ٤١٠ ط مؤسسة المعارف بيروت لبنان.

الخاتمة

لعله بعد هذه التطوافة العلمية – التي أسأل لها التوفيق والسداد– حول فقه القيادة العسكرية والسياسية من خلال قصة طالوت نكون قد أدركنا أهمية دور القائد العسكري والسياسي, وفي الوقت ذاته خطورة وحساسية موقعه من الأمة, لقد كان البحث فاصلا بين زمنين:

الأول: عاشه بنو إسرائيل ذلا وانكسارا, وبكاءَ على الأطلال, لأنهم ضلوا بعدما هدوا, فذاقوا وبال أمرهم, وهذه سنة الله في كونه, وآية الله في خلقه.

الثاني: عاشه بنو إسرائل عزَّاً وكرامة, باصطفاء الله لهم القائد طالوت بعد سؤالهم وطلبهم من نبيهم هذا, فصحح مسارهم وزكَّى نفوسهم وخاض بهم النزال, فانتصر وظفر بمَن ثبت, وإن في ذلك لعبرة,

أهم النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

- إن القصص القرآني هو أكبر مُعبِّر حقيقي عن تاريخ السابقين اسما ورسما, ودروسا وعبرا, دون محاباة أو مجاملة, بل الوقوف على أدق وأعمق التفاصيل.
- لقد أوضحت قصة طالوت أن السياسة جزء من الدين وأنه لا تعارض بينهما, فقد أثبت التعاون المثمر بين النبي داوود (عليه السلام) وبين القائد المُلْهَم طالوت أنموذجاً واضحاً في هذا المضمار حتى حظي بالظفر والنصر.
- لقد بلغ بنو إسرائيل قمة الانحطاط الأخلاقي والحضاري قبل مجيء القائد المُلْهَم (طالوت), وتمزَّقوا شر ممزَّق, وتكالبت عليهم الأمم المجاورة, وتوالت عليهم الهزائم العسكرية, ولم يكن لهم من أنسهم خير.
- لقد كان عهد القائد طالوت هو البداية الحقيقية لإعادة النفس إلى المسار الصحيح بعدما سوَّل لها شيطانها النزول إلى الهاوية في حالة من الجمود والتدني الأخلاقي.
- لقد كان عهد طالوت هو البداية الحقيقة لحرب العزة والكرامة التي أعاد بها لبني إسرائيل المنزلة والهيبة جغرافيا وبيئيا, حيث أعاد هيكلة الجيش وتنظيمه الجيش, وأوجد أول جيش نظامي لبني إسرائيل من بعد عهد سيدنا موسى (عليه السلام).

- لقد أثبتت قصة طالوت أن النجاح الحقيقي للقيادة يتمثل في وجود قيادة: عاقلة واعية مدركة حاسة ملمة فقيهة وطموحة تستطيع أن تمتلك زمام الأمور وأن تُحسن المبادرة واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.
- إن اصطفاء الله تعالى لأحد في أيّ أمر من الأمور لا يقف عند مقاييس البشر, ولا يمكن أن نزنه بميزان الخَلْق, فهناك حِكَم إلهية وعطاءات ربانية لا يُدرك كنهها إلا رب العباد (ﷻ), مما يستوجب التسليم والقبول.
- ليست كل شخصية يمكن أن تكون قيادية ريادية, إنما هي الشخصية الكفء, المنضبطة نفسياً وأخلاقيا, المقدِّرة لضوابط اختيارها, والدارسة لفنون الحرب وخدع القتال.

ثانيا: التوصيات

- لابد من التعامل الراقي مع القصة القرآنية بغرض أخذ العظات والعبر والوقوف على أدق تفاصيلها لأهميتها البالغة.
- لابد من تناول الدروس والعبر من خلال قصة طالوت بالفحص والدرس للوقوف على فقه القيادة الناجحة, ومعالجة جوانب التقصير بعد التقييم والتقويم.
- ينبغي للقائد أن يمتلك المؤهلات القيادية, وأن يكون على دراية بخطورة الموقع الموجود فيه وأهميته لدى الأمة, سواء كان في الجوانب السياسية أو العسكرية أو الإدارية أو أي جانب مؤسسي.
- لابد للقائد أن تتوفر في شخصيته القدرة النفسية العالية, والاستعداد البدني المتكامل, وضبط النفس بأخلاقها الرفيعة في التعامل مع الأفراد أيَّاً كان الجانب المؤسسي.
- لابد من الإعداد التربوي للأفراد قبل التكليف بأي مهام حتى يُسهم هذا في تحقيق الأهداف والغايات.
- علينا أن نستقي مُثُلنا القيادية ونستلهم فقه القيادة الناجحة من القرآن الكريم وقادتنا العظام, وهم شموس ساطعة في تاريخ الأمة الحافل بالنضال, بعيداً عن التأسي بما قذفته لنا الحضارة الغربية من وهم النظريات القيادية المُزْرية.

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم** – جلَّ مَن أنزله.

٢- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للعلامة زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي,** المتوفى (٩٢٦هـ) تحقيق د. مازن المبارك ط دار الفكر المعاصر بيروت، ط١ ١٤١١هـ.

٣- **الراغب الأصفهاني،** الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، ط١ ط دار السلام بالقاهرة, ٢٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤- **اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي)،** د. شكري محمد عياد ط مكتبة الأنجلو، ط١ القاهرة ١٩٨٠م.

٥- **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي,** د. راغب السرجاني، ط١ ط مؤسسة اقرأ بالقاهرة, بدون.

٦- **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة المُلك،** لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي, تحقيق: محي هلال السرحان، ط دار النهضة العربية, بيروت لبنان ١٩٨١م.

٧- **جامع الأصول في أحاديث الرسول،** للإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير, تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط, ط الأولى ط مكتبة الحلواني, بدون.

٨- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** للإمام الألوسي، ط دار إحياء التراث العربي, بيروت لبنان, بدون.

٩- **زاد المسير في علم التفسير،** للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ط دار الكتب العلمية, بيروت لبنان ط١ ١٤١٤هـ.

١٠- **أبجديات البحث في العلوم الشرعية،** د. فريد الأنصاري منشورات الفرقان, الدار البيضاء, ط١ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١١- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية،** للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي صـ٤ تحقيق: محمد حامد الفقي، ط القاهرة سـ١٩٣٨م.

١٢- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، للماوردي، ط١ ط دار ابن قتيبة, الكويت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٣- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير تحقيق: محمد ابراهيم البنا, أحمد عاشور, محمود فايد, ط دار الشعب القاهرة سـ١٩٧٠م.

١٤- **إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه**، لعبدالله بن فريح العقلا، ط١ ط مكتبة الرشد، الرياض١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٥- **الأنماط القيادية وعلاقتها بالأداء الوظيفي**، د. طلال عبد الملك الشريف رسالة ماجستير بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالمملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م .

١٦- **البحر المحيط**، للإمام أبي حيان الأندلسي، ط١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٧- **البحر المحيط**، للإمام أبي حيان تحقيق: أحمد عادل, على معوض, ط دار الكتب العلمية, بيروت ط الأولى ١٤١٣هـ.

١٨- **البحر المحيط**، للإمام محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تحقيق: أحمد عادل -علي معوض، ط دار الكتب العلمية، ط١ ط (بيروت لبنان ١٤١٣هـ).

١٩- **البداية والنهاية**، لابن كثير، ط١ ط دار الريان, القاهرة, ١٤٠٨هـ.

٢٠- **بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم**، لكاظم الظواهري، ط١ ١٩٩١م - ١٤١٢هـ.

٢١- **البرهان في علوم القرآن**، للإمام الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ط دار إحياء الكتب العربية، ط١ بيروت ١٩٥٧م.

٢٢- **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، للشيخ محمد سيد طنطاوي، ط٢ ط دار الشروق ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م, القاهرة.

٢٣- **بيان إعجاز القرآن**، للإمام الخطابي، ط ٢ ط دار المعارف بالقاهرة ١٣٨٧م.

٢٤- **تاج العروس للزبيدي**, محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى, تحقيق: مجموعة من المحققين, طبعة دار الهداية, بدون.

٢٥- **التبر المسبوك في نصيحة الملوك**، للإمام محمد أبي حامد الغزالي تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٢٦- **التحرير والتنوير**، للإمام الطاهر ابن عاشور التونسي، ط دار سحنون, تونس ١٩٩٧م.

٢٧- **التحرير والتنوير**، للإمام الطاهر بن عاشور، ط دار سحنون, تونس, بدون ت.

٢٨- **الترغيب والترهيب**، للإمام الحافظ المنذري ط دار الحديث القاهرة, بدون.

٢٩- **التعريفات**, علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ط دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٠- **تفسير القرآن العظيم**، للإمام ابن كثير، ط مكتبة أسامة بالقاهرة.

٣١- **تفسير القرآن**، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني تحقيق: ياسر ابن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط دار الوطن بالرياض السعودية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٢- **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، للإمام الفخر الرازي، ط دار الفكر ط١ بيروت، الخازن، علاء الدين علي بن محمد الشيحي, بدون.

٣٣- **تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل**، للإمام الخازن تحقيق: محمد علي شاهين، ط١ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.

٣٤- **التناسب البياني في القرآن**، لأحمد أبو زيد، ط مطبوعات جامعة محمد الخامس بالرباط ١٩٩٢م.

٣٥- **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، للإمام الطبري ط١ ط مؤسسة الرسالة, دمشق, بدون ت.

٣٦- **الجامع لأحكام القرآن**، للإمام القرطبي تحقيق: سمير البخاري، ط دار عالم الكتب، الرياض، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي جـ١ صـ٢٩٨ ط٤ ط دار طيبة, السعودية, بدون.

٣٧- **الجهاد في سبل الله حقيقته وغايته**، لعبد الله أحمد القادري، ط٢ ط دار المنار, جدة, السعودية ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٣٨- **جواهر الأدب**، للسيد أحمد الهاشمي ط مؤسسة المعارف بيروت لبنان, بدون.

٣٩- **حسن السلوك الحافظ دولة الملوك** لابن الموصلي تحقيق: فؤاد عبد المنعم، ط١ ط دار الوطن ١٤١٦هـ.

٤٠- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، ط٤ ط دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ, الزهد للإمام أحمد بن حنبل ط دار الكتب العلمية, بيروت لبنان.

٤١- **الخطاب القرآني**, سليمان عشراني, ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٩٨م.

٤٢- **الدرر المنثور في التعريف بالمأثور**، للإمام السيوطي، ط دار هجر ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م, القاهرة.

٤٣- **دلالة السياق**, د. ردة الله الطلحي, معهد إحياء التراث الإسلامي ط ٢ ط مكة المكرمة ١٤٣٤هـ.

٤٤- **دلائل الإعجاز**, أبو بكر عبد القادر الجرجاني تحقيق: محمود محمد شاكر، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٤م.

٤٥- **دلائل الإعجاز**، للإمام الجرجاني تحقيق: محمود شاكر، ط الخانجي بالقاهرة ١٩٨٤م.

٤٦- **روح العاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للإمام شهاب الدين محمود الآلوسي، ط دار التراث, القاهرة.

٤٧- **روح المعاني**، للإمام الآلوسي ط دار التراث, القاهرة.

٤٨- **الروح**، للإمام ابن القيم ط دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٤٩- **زاد المسير في علم التفسير**، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ط٣ ط المكتب الإسلامي, بيروت لبنان ١٤٠٤هـ.

٥٠- **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢-٢٧٥هـ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت بلبنان.

٥١- **سنن الدارمي**، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن تحقيق: فواز ولي, خالد السبع، ط١ ط دار الكتاب العربي, بيروت لبنان ١٤٠٧هـ.

٥٢- **السنن الكبرى**، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي, تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ط مؤسسة الرسالة بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٥٣- **السياسة الشرعية**، للشيخ عبد الوهاب خلاف ط دار الشعب, بدون.

٥٤- **السيرة النبوية**، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، ط دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٥٥- **صحيح مسلم**، بشرح النووي ط دار الحديث بالقاهرة، ط الرابعة سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥٦- **الطبقات الكبرى**، لابن سعد ط دار صادر, بيروت لبنان, بدون.

٥٧- الطريق إلى القيادة وتنمية الشخصية لكورتوا, ترجمة: سالم العيسي, ط١ ط دار علاء الدين, دمشق.

٥٨- **عبد الكريم زيدان ومنهجه في التأصيل الدعوي من خلال كتابه أصول الدعوة**، "رسالة ماجستير بالجمهورية الجزائرية, جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي, معهد العلوم الإسلامية, قسم أصول الدين, تخصص: دعوة وإعلام, للباحثة برتيمة حكيمة, إشراف الأستاذ: مصطفى الشريف بلقاسمي, تاريخ المناقشة ١٤ محرم ١٤٤٠هـ- ٢٤ أيلول / سبتمبر ٢٠١٨م.

٥٩- **علم السياسة**، لمارسيل بريلو, ترجمة: محمد برجاوي، ط منشورات عويدات, بيروت لبنان, بدون.

٦٠- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، للإمام نظام الدين الحسن النيسابوري تحقيق د. حمزة النشرتي وآخرين, ط بدون, وبدون ت.

٦١- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار الحديث بالقاهرة.

٦٢- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للإمام االشوكاني، ط١ ط دار الخير، دمشق, بدون.

٦٣- **فتح القدير**، للإمام الشوكاني ط دار الخير، ط الأولى دمشق ١٤١٢هـ.

٦٤- **فتح القدير**، للإمام محمد بن علي الشوكاني، ط دار الخير ط١ ١٤١٢هـ.

٦٥- **فن القيادة في الاسلام**، لأحمد بصبوص، ط١ الأردن ط مكتبة المنار ١٩٨٨م.

٦٦- **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي, ط ٨ ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٦٧- **القرآن الحكيم (تفسير المنار)**: محمد رشيد رضا، ط٢ ط مطبعة المنار بالقاهرة, بدون.

٦٨- **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، د. عبد الكريم الخطيب، ط دار الفكر العربي, بيروت لبنان ١٩٦٥م.

٦٩- **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، لعبد الكريم الخطيب، ط٢ بيروت ط دارالمعرفة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٧٠- **القيادة: الأسباب الذاتية للتنمية القيادية**، لجاسم بن محمد مهلهل الياسمين، ط١ ط دار الوفاء بالقاهرة سنة ١٩٩٨م.

٧١- **كشاف اصطلاحات الفنون**, محمد علي التهانوي الحنفي, راجعه: أحمد حسن بسج، ط دار الكتب العلمية, بيروت ١٩٧١م.

٧٢- **لسان العرب**، لابن منظور، ط دار صادر بيروت, ط٣ ١٤١٤هـ.

٧٣- **المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم**، د. عوض الله حجازي، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة, بدون.

٧٤- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**, شرح وفهرسة: أحمد شاكر، ط مكتبة التراث الإسلامي, بدون.

٧٥- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط دار الفكر العربي، بيروت المكتب الإسلامي.

٧٦- **معالم التفسير في تنزيل القرآن**، للإمام البغوي, بدون.

٧٧- **معجم الرائد**، لجبران مسعود، ط دار العلم للملايين, بدون ت.

٧٨- **المعجم الوسيط, نخبة من ذوي الاختصاص بمجمع اللغة العربية**، ط مكتبة الشروق ط٤ ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٧٩- **معجم مقاييس اللغة**، للعلامة أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي المتوفي ٣٩٥هـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨٠- **مفاتيح الغيب**، للإمام الفخر الرازي، ط دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ.

٨١- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية صـ٧٠ ط دار الكتب العلمية, بيروت لبنان ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٢- **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون، ط دار التحرير القاهرة سـ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٨٣- **من أسرار التعبير القرآني (دراسة تحليلية لسورة الأحزاب)**، د. محمد محمد أبو موسى ط مكتبة وهبة ط٢ القاهرة ١٩٩٦م.

٨٤- **مناهج البحث العلمي في الإسلام**, عبد الرّحمن بدوي ط وكالة المطبوعات, الكويت, ط. الثالثة, سنة ١٩٧٧م.

٨٥- **مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام**، د. حلمي عبد المنعم صابر، ط مكتبة الإيمان، ط الثانية, سنة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٨٦- **مناهج البحث العلمي**، د. عبد اللطيف محمد العبد ط مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط ١٣٩٨هـ-١٩٧٩م.

٨٧- **مهارات البحث العلمي في الدراسات التربوية والاجتماعية**، د. حافظ فرج أحمد ط عالم الكتب, بدون ت.

٨٨- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للإمام برهان الدين البقاعي، ط دار الكتب العلمية ط٢ بيروت ١٤١٥هـ.

٨٩- **نظم الدرر**، للإمام البقاعي ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط الأولى ط الهند حيدر آباد ١٣٩١هـ.

٩٠- **النظم القرآني في آيات الجهاد**، لناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الخنين، ط مكتبة التوبة ط١ الرياض ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٩١- **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، لغوستاف لوبون ترجمة: عادل زعيتر، تحقيق: محمود النجيري، ط١ ط مكتبة النافذة بالقاهرة ٢٠٠٩م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص: ٣٦٦
المقدمة ٣٦٩
منهج الدراسة: ٣٧١
أولا: المنهج الاسترادي: ٣٧١
ثانيا: المنهج الاستدلالي: ٣٧١
ثالثا: المنهج التحليلي: ٣٧١
رابعًا: المنهج الاستنباطي: ٣٧٢
تحرير أهم مصطلحات عنوان البحث ٣٧٥
تواطئة ٣٨٠
المبحث الأول ٣٨١
(بين يدي القصة) ٣٨١
المطلب الأول ٣٨٤
جمال الدِّلالة والسياق في القصة ٣٨٤
المطلب الثاني ٣٨٩
التناسب السياقي في القصة ٣٨٩
المبحث الثاني ٣٩٣
(العطاءات الإلهية في شخصية القائد المُلْهَم) ٣٩٣
المطلب الأول ٣٩٦
الاصطفاء الإلهي ٣٩٦
المطلب الثاني ٣٩٨
البسطة في العلم ٣٩٨
المطلب الثالث ٤٠٠
البسطة في الجسم ٤٠٠
المبحث الثالث ٤٠٣
(المؤهلات القيادية في الشخصية الريادية) ٤٠٣
المطلب الأول ٤٠٤
الكفاءة ٤٠٤
المطلب الثاني ٤٠٩
احترام ضوابط الاختيار ٤٠٩
المطلب الثالث ٤١٥
الدراسة العسكرية وفنون القتال ٤١٥
المطلب الرابع ٤٢٣

ضبط النفس ٤٢٣
الخاتمة ٤٢٧
أهم النتائج والتوصيات ٤٢٧
أولاً: النتائج ٤٢٧
ثانياً: التوصيات ٤٢٨
المصادر والمراجع ٤٢٩
فهرس الموضوعات ٤٣٦